

علمتني سورة الواقعة

الطبعة الأولى

كل الحقوق محفوظة

رمضان ١٤٤٠هـ. - مايو - أيار ٢٠١٩م.

يوزع مجاناً وصدقة جارية عن روح المرحومين:

القاضي عبد الحميد كبارة

الأستاذ رياض كبارة

السيدة سهام كبارة

السيدة عائدة الأسعد

وعن أرواح أموات جميع المسلمين والمسلمات

طباعة وإخراج

وليد محمود شكشك ٤٣ ٧٦ ٢١ ٠٣

لبنان - طرابلس

www.3alamatnisurah.com

www.3alamatnisourat.com



علمتني سورة الواقعة



جمع وإعداد
م. عامر كِبارة



أهدى

أهدي هذا الكتاب إلى كل مسلم ومسلمة
وأخصُّ عائلتي الكريمة الكبيرة والصغيرة، وبخاصةً الأحفاد
الأحبة الذين أرجو الله عزَّ وجلَّ أن يحفظهم ويهديهم إلى الطريق
الحق الذي ارتضاه.

وأرجو الله عزَّ وجلَّ أن ينفعنا بما نقرأ، كما أسأله عزَّ وجلَّ التوفيقَ
والقبول؛ إنه سميع مجيب.
والحمد لله رب العالمين



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لكلِّ إنسانٍ مِنَّا لحظاتٌ تَفكَّرُ، وخصوصاً حين يتقدَّم في العمر!
كيف سيكون مصيره حين يلقي الله سبحانه وتعالى؟؟ وعند هذه اللحظات
تمرُّ بمُخَيَّلته ذكرياتٌ وملفاتٌ حياتِهِ وما مرَّ به من مواقف وامتحانات،
وما فعل أو قال أو سمع أو نظر... إلى ما هنالك من الخواطر، ومن هذه
الخواطر مواقفٌ سعيدةٌ، كما أن منها الأليمة، ومنها ما كان في طاعة الله،
ومنها ما كان في غير ذلك، نتذكر يوم الحساب، وماذا سنقول لرب العباد
تبريراً^(١) لتصرُّفاتنا، وبعدها سرعان ما نلجأ إلى القرآن الكريم لنبحث عن
آية توبة أو رحمة لنبشِّر بها أنفسنا.

وهذا ما جعلنا نبحث في أقوال العلماء الأفاضل عما استنتجوه من

١- تبريراً: تفسيراً مقبولاً.

قراءتهم وتدبرهم للقرآن الكريم ومعرفة تصنيفه^(١) للبشر.. وأين نحن من هذا التصنيف؟ وما هي صفات وميزات الصالحين من غير الأنبياء والرسل.

وقد تبين لنا أن البشر - على اختلاف مللهم^(٢) وانتماءاتهم^(٣) وأعراقهم^(٤) وأنسابهم^(٥) وطوائفهم ومذاهبهم - لا يزيدون عند الله تعالى عن نموذجين:

١. من عرف الله فانضبط^(٦) بمنهجه وأحسن إلى خلقه، وعندئذ يُيسر الله حياته، ويوفقه في أعماله، فيسلم ويسعد في الدنيا والآخرة، وهؤلاء هم المؤمنون على كافة درجاتهم.

٢. من غفل عن الله، وضل عن منهجه، وأساء إلى خلقه، فيشقى، ويتخلى الله تعالى عنه فيهلك في الدنيا والآخرة، وهؤلاء هم الكافرون والمنافقون.

وقد رأى الدكتور راتب النابلسي أن مما يدعم هذا التقسيم قوله

١ - تصنيفه: تقسيمه وتمييزه لهم حسب صفاتهم.

٢ - مللهم: جمع ملة، وهي الشريعة أو الدين.

٣ - انتماءاتهم: انسابهم وولائهم.

٤ - أعراقهم: جمع عرق بمعنى جنس، أي سلالة الناس يصنفون بناء على التاريخ أو التوزيع الجغرافي أو السمات.

٥ - أنسابهم: أصولهم.

٦ - انضبط: انتظم وخضع وامثل.

تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿١﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٢﴾ ﴿٧﴾
 وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٣﴾ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ الْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل].

وبالتالي: فإن من بنى حياته على العطاء وتقوى الله تعالى فهو المؤمن،
 وجزاؤه الجنة، وأما الذي استغنى عن طاعة الله وبنى حياته على الأخذ فهو
 الكافر ومصيره نار جهنم، ويطلق عليه أيضاً «ظالم» و«فاسق» لقوله تعالى:
 ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله:
 ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]،
 وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وأما من كان له ظاهر^(٤) وله باطن^(٥) مختلف، ويجلس مع المؤمنين
 يظهر إيمانه المزور، فهو لاء هم «النافقون» ومصيرهم النار، لقوله تعالى:
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ
 اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٩﴾ [البقرة: ٨-٩].

و ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقد صنّف ابن كثير في تفسيره، «المسلمين» في الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ ﴿٧﴾

١- بِالْحُسْنَى: كلمة (لا إله إلا الله) والجنة.

٢- لِلْيُسْرَى: عمل الخير والتيسير والتسهيل.

٣- وَاسْتَغْنَى: أعرض.

٤- ظاهر: ما يبدو للناظر من فعل الجوارح (ما يدرك بالحواس).

٥- باطن: اعتقاد القلب.

٦- الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ: قعر جهنم.

٧- أَوْرَثْنَا: أعطينا.

الْكِنْدَبَ^(١) الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ [فاطر]، إلى ثلاثة أنواع:

١ - «ظالم لنفسه»، وهو المَفْرُطُ^(٢) في فعل الواجبات، والمرتكب لبعض المحرمات.

٢ - «مقتصد»، وهو المؤدِّي للواجبات والتارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

٣ - «سابق بالخيرات»، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، والتارك للمحرمات والمكروهات.

أما الشيخ السعدي رحمه الله فقد قسّم الناس إلى خمسة أصناف:

١ - الْمُصَدِّقُونَ وَالْمُصَدِّقَاتُ: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا^(٣) اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا^(٤) يَضَعُ لَهُمْ^(٥) وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحديد].

معظم عملهم الإحسان إلى الخلق وبذل النفع ما أمكنهم بالمال والجهد، وما لهم^(٥) الجنة بإذن الله.

١- الْكِنْدَبَ: القرآن.

٢- الْمَفْرُطُ: المتجاوز للحد.

٣- وَأَقْرَضُوا: أعطوا راضين مقابل الأخذ لاحقاً.

٤- قَرْضًا حَسَنًا: السلفة من مال أو عمل بدون أي فوائد عليه (لوجه الله).

٥- ما لهم: مستقبلهم ومستقرهم.

٢ - ٣ - الصّديقون والشهداء: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(١) [الحديد: ١٩].

والصّديقون: هم الذين كملوا مراتب الإيمان^(٢) والعمل الصالح
واليقين الصادق^(٣) والعلم النافع، ولهم الجنة بإذن الله.

والشهداء: هم الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمته وماتوا في
سبيله، ومثواهم^(٤) الجنة بغير حساب^(٥).

٤ - الكفار: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(١٠) [المائدة: ١٠].

وهم الكفار الذين كذبوا بآيات الله، ومآلهم جهنم خالدين فيها،
والعياذ بالله.

٥ - المؤمنون المقصرون: قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾
[فاطر: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾^(٦)
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَكُفِرَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾^(٧)

١ - وَنُورُهُمْ: ثواب إيمانهم وعملهم الصالح.

٢ - مراتب الإيمان: مستوياته.

٣ - اليقين الصادق: العلم التام الذي ليس له أدنى شك، والموجب للعمل.

٤ - مثواهم: مصيرهم ومستقرهم.

٥ - بغير حساب: من غير متابعة أو مطالبة.

٦ - ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ: أي وقعوا في المعاصي.

٧ - يُصِرُّوا: يتشبثوا ويمعنوا ويستمروا.

عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾
[آل عمران].

هم المؤمنون بالله إلهًا وربًا، الذين أدّوا الواجبات وتركوا المحرّمات،
إلا أنه حصل منهم تقصير في بعض حقوق الله وحقوق عباده، فهؤلاء
مأثمّ الجنة، وإن حصل لهم عقوبة ببعض ما فعلوا [وقد يعفو الله عنهم
برحمته وفضله].

وآخرون قسموا الناس إلى فريقين:

١ - سعيد: وهو القريب من كتاب الله تعالى يتلوه آناء الليل
والنهار عاملاً بأمره منتهياً عن نواهيه^(٢)..

٢ - شقي: وهو البعيد عن كتاب الله تعالى، المَعْرُضُ^(٣) عن تلاوته
متعدياً لحدوده^(٤)، فلا ترده نواهيه^(٥) عن معصية، ولا تُحْفَزه^(٦) أوامره إلى
طاعة.

وعلى المسلم أن يحاسب نفسه مع أي فريق هو.

١- يَعْلَمُونَ: أن الله قد نهي عمّا فعلوا.

٢- نواهيه: ما نهي الله تعالى عن إتيانه من قول وفعل.

٣- المَعْرُض: المتجاهل، غير المهتم.

٤- متعدياً لحدوده: اعتدى وتجاوز ما نهي عنه.

٥- ترده نواهيه: تردعه وترجعه لتعليقات الله تعالى عن فعل المعصية.

٦- تُحْفَزه أوامره: تدفعه.

وآخرون قَسَمُوا النَّاسَ أَنْوَاعًا:

النوع الأول: عَمَّارُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١)
﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٢٠٢) [البقرة].

هذا النوع من البشر يَعْمُرُونَ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّهُمْ يَعْمُرُونَ الْآخِرَةَ أَيْضًا، وَيَضَعُونَهَا فِي قُلُوبِهِمْ، يَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ الدُّنْيَا جَسْرٌ وَمَعْبَرٌ لِلْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقِيمَ أُمُورُهُ إِلَّا بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِهَدَفٍ مُّحَدَّدٍ وَلَوْ قَدْ مَحَدَّدُوا، وَيَعْمُرُونَ الْآخِرَةَ مِنْ أَجْلِ رِضَى اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ، وَإِذَا تَعَارَضَتْ مَصَالِحُهُمُ الْمَادِيَّةُ مَعَ دِينِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَضْرِبُونَ بِمَصَالِحِهِمُ الْمَادِيَّةِ عَرَضَ الْحَائِطِ لِيَحْتَفِظُوا بِدِينِهِمْ؛ لِأَنَّ هَذَا الدِّينَ هُوَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَلَقَهُمُ اللَّهُ عِزِّ وَجَلِّ.

النوع الثاني: الْبَائِعُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، يَقُولُ اللَّهُ عِزِّ وَجَلِّ عَنْهُمْ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

هذا النوع هو الذي بلغ الذرورة في الاستقامة، وهؤلاء يَشْرُونَ أَنْفُسَهُمْ -أي: يبيعونها- لِلَّهِ عِزِّ وَجَلِّ، وَهَؤُلَاءِ مَوْجُودُونَ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَيَعِيشُونَ فِي جِهَادٍ دَائِمٍ مَعَ النَّفْسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَظْهَرَ دِينُ اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ.
النوع الثالث: اللاهثون^(١) وراء الدنيا، قال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ

١- اللاهثون: الساعون بجهد حتى التعب.

مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾^(١)

[البقرة: ٢٠٠].

هؤلاء نجدهم اليوم كثيرين بين الناس.. وربنا رأينا أقوامًا بينون المساجد والمستشفيات والمدارس... ولكنها على غير هدف أخروي، وهؤلاء إذا تعارضت مصالحهم الدنيوية مع دينهم ضربوا مصالحهم الدنيوية عرض الحائط واتجهوا إلى الدنيا فقط؛ لذلك فإن الله عز وجل يُعَجِّلُ لَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، ويعطيهم القوة والمال والولد، لأن الله تعالى ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٢) [النساء: ٤٠].

النوع الرابع: من يتخذ الدين مَطِيَّةً^(٣) لمصلحته، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٤) [البقرة: ٢٠٤].

وقال في آية أخرى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾^(٥) فَحَسْبُهُ^(٦) جَهَنَّمَ [البقرة: ٢٠٦].

١- خَلَقَ: الحظ والنصيب من الخير.

٢- مِثْقَالُ ذَرَّةٍ: وزن الذرة.

٣- مَطِيَّةٌ: وسيلة.

٤- أَلَدُّ الْخِصَامِ: أشد الخصومة، وكثير الجدل والمراوغة بغير حق.

٥- أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ: أي حملته حميته أو موقعه على الظلم والتكبر.

٦- فَحَسْبُهُ: بمقتضاه.

هذا النوع من البشر له كلام مَعْسُولٌ^(١) يعجب الناس، ويتكلم عن الإسلام ويمدحه ويصفه بأنه دين الحياة والرُّقْيِ والتقدُّم، وإذا كان له مَطْلَبٌ من مطالب الدنيا اتَّخَذَ الدينَ مَطِيَّةً، وبدأ يظهر أمام الناس بمظهر الرجل الصالح المُصْلِح، فإذا ظفر بْبُغْيَتِهِ^(٢) وحصل على مُرادِه أهمل ما كان يدعو إليه! لماذا؟ لأن الهدف انتهى والمهمة قد تحققت، هذا النوع أخطر البشر؛ لأنه يخدع الناس، وهو أحد أوجه النفاق، وهذا النوع موجود بكثرة في حياة الناس.

النوع الخامس: المنافقون، قال تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ^(٣) نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

وهم الخادعون لله ورسوله والمؤمنين، والمتحيين الفرص^(٤) للإيقاع بالمسلمين، وهم الذين يفسدون في الأرض، وهم يدعون إصلاحها!

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

النوع السادس: المجادلون في الله وفي شرعه بغير علم، وهذا النوع مذكور في سورة الحج، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

١- معسول: حلو المنطق.

٢- ظفر ببغيته: نال ما كان يرغب فيه ويطلبه.

٣- وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ: تعبير عن الشح والبخل.

٤- المتحيين الفرص: المنتظرين والمتربحين الوقت المناسب.

وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿١﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ ﴿٢﴾ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴿٣﴾
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ [الحج].

النوع السابع: المتكبرون المتغطرسون^(٥)، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج].

(ثَانِي عَطْفِهِ) أي متكبرٌ ومُتَغَطِّرٌ وساخِرٌ، والجدل المقصود هنا
هو المناقشة على سبيل المنازعة والمغالبة بالباطل بلا عقل صحيح ولا نقل
صريح^(٦)، وهو يختلف عن الحوار، وهذا النوع من الجدل يسبب القسوة
في القلب والعصيان والتمرد على أوامر الله عز وجل.

النوع الثامن: مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ، وأصل الحرف في اللغة:
هو الطرف، والذي على الطرف يوشك أن يقع في أي لحظة، قال تعالى:
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ ﴿٧﴾

١- شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ: شيطان الإنس أو الجن الذي يتمرد ويطغى.

٢- تَوَلَّاهُ: تبعه.

٣- يُضِلُّهُ: يبعده عن الطريق المستقيم ويسوقه إلى عذاب جهنم.

٤- عَذَابِ السَّعِيرِ: عذاب النار الملتهبة الشديدة.

٥- المتغطرسون: المتكبرون والمتعجرفون.

٦- نقل صريح: ما وضح وثبت نقله عن أقوال وأفعال الرسول ﷺ والأئمة الصالحين.

٧- فِتْنَةٌ: الأمور والأحداث التي قد تزين الباطل، والضيق في العيش أو المصيبة التي وضعها الله

للاختبار.

أَنْفَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ^(١) خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ [الحج: ١١].

هذا النوع - والعياذ بالله - وإن كان الإيمان وصل إليهم لكنه لم يستقر في قلوبهم، هؤلاء ورثوا هذا الدين عن آبائهم وأجدادهم فكانوا مقلّدين من غير هدى، وصاحب هذا الإيمان الضعيف إذا أصابه خيرٌ اطمأنَّ به، ولكن اطمئنانه سرعان ما يتلاشى ويزول إذا أصابته مصيبة أو ابتلي بفتنة.

والذي ينبغي: أن نأخذ هذا الدين عن قناعة وحرارة ورغبة؛ لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران].

النوع التاسع والعاشر: من يصبر على الفتنة في الدين، ومن لا يصبر، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ^(٢) كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [العنكبوت: ١٠]، وقال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿٢﴾ [العنكبوت: ٢] ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين ﴿٣﴾ [العنكبوت].

وهذه الفتنة في أيامنا الحاضرة أصلب وأقسى، حيث يُفتن الرجل كل يوم في دينه وفي نفسه وأهله والعياذ بالله.

النوع الحادي عشر: من يشتري هُوَ الحديث ليُضِلَّ عن سبيل الله،

١- أَنْفَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ: رجع وارتد إلى ما كان عليه سابقاً من الكفر.

٢- فِتْنَةَ النَّاسِ: المصيبة التي تصيبهم من الناس في الدنيا.

وهذا النوع المذكور في سورة لقمان، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا^(١) أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

هؤلاء الناس يشترون هُؤَ الحديث بالمال، وقال بعض العلماء: إن هُؤَ الحديث هو الغناء الفاحش والأفلام الهابطة والحفلات الفاسدة وما يَحْدُو حَذْوَهَا^(٢)...

والجدير بالذكر والتنبيه أن تصنيف الناس بحسب الهوى^(٣) ومن باب التفاخر مِنْهِيَّ عنه؛ لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات]، وفي خطبة الوداع قال النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لِأَدَمَ، وَأَدَمٌ مِنْ تُرَابٍ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ^(٤)، وَلَا أَبْيَضَ عَلَىٰ أَسْوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ» [رواه مسلم].

وبالتالي فنحن لا يمكننا تصنيفُ البشر ولا الحكم عليهم؛ لأننا - ببساطة - لا نعلم عن سريرتهم^(٥) شيئاً وإن علمنا بعض ظاهر أعمالهم.. ولذلك فإن التصنيف والحكم هو الله وحده لا شريك له، وهو وحده الذي سيحاسب عبیده.

١- هُزُوًا: استهزاء وسخرية.

٢- يَحْدُو حَذْوَهَا: يسير على خطاها.

٣- الهوى: ميل النفس إلى الشهوة أو المبتغى.

٤- عجمي: تطلق على غير العرب

٥- سريرتهم: ما يكتفم في النفس.

ونحن نرى أن سورة «الواقعة» قد ورد فيها تصنيف البشر، ومن ثمَّ فإنها تقول للمسلم: تفكّر وتدبّر، ثم اختر أين تكون بين أحد هذه الأصناف الثلاثة:

«المُقرَّبون» إلى الله تعالى، وهؤلاء لهم عزم وإرادة؛ فجزاؤهم في أعلى درجات الجنان.

«أصحاب اليمين»، الذين آمنوا ولكن عزائمهم دون عزم المقربين، حسناتهم غلبت على سيئاتهم، فهؤلاء لهم الجنة بعد الحساب في الآخرة يدخلونها برحمة الله وفضله.

«أصحاب الشمال»، وهم الكفرة والمنافقون والملحدون والمشركون، ومصيرهم جهنم خالدين فيها أبداً والعياذ بالله.

ومَّا يلفت النظر أن هذه السورة مُتآخِية^(١) مع سورة «الرحمن» في أن كُلاً منهما وصفت القيامة والجنة والنار، فلو نظرنا إلى قوله سبحانه في سورة الواقعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة]، نجد في سورة الرحمن: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ^(٢) السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ^(٣)﴾ [الرحمن: ٣٧]، وقد اقتصر في سورة الرحمن على ذكر انشقاق السماء، وفي سورة الواقعة على ذكر رَجِّ^(٤) الأرض ﴿إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة]، فكأن السورتين

١- متآخية: مصاحبة ولهما بعض الأهداف المشتركة.

٢- أَنْشَقَّتِ: تفرقت وتصدعت وانقسمت.

٣- وَرْدَةً كَالدِّهَانِ: تتلون كالوردة، فتارة حمراء أو صفراء أو زرقاء من شدة الأمر وهول القيامة.

٤- رَجَّ: اهتزاز وزعزعة واضطراب.

لتلازمها^(١) سورة واحدة.

وقد لوحظ أيضًا أن بين السورتين قلبًا^(٢) في الترتيب؛ فذكر في أول سورة الواقعة ما ذكره في آخر سورة الرحمن، وفي آخر الواقعة ما في أول الرحمن، فافتُح في سورة الرحمن بذكر القرآن، ثم ذُكر الشمس والقمر، ثم ذُكر النبات، ثم خَلق الإنسان من طين والجنان من مارج من نار^(٣)، ثم صفة يوم القيامة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنة، وابتدأت سورة الواقعة بذكر القيامة «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ»، ثم صفة الجنة، ثم صفة النار، ثم خَلق الإنسان، ثم النبات، ثم الماء، ثم النجوم، - وهذه الأخيرة لم تُذكر في سورة الرحمن، كما لم يُذكر في سورة الواقعة (الشمس والقمر) -، ثم ذكر القرآن، فسبحان الله العظيم!

هذا.. وللتيسير على العامة والشباب خاصة فقد تم توضيح معاني وتفسير وهداية آيات سورة الواقعة في هذا الكتاب منقولةً عن ليف^(٤) من العلماء الأفاضل في كتبهم ومحاضراتهم، وقد تمَّ ذِكرُ:

١ - تفسير معاني المفردات، وتوضيح بعض هداية الآيات من موسوعة «أيسر التفاسير لكلام العلي القدير» للشيخ أبي بكر الجزائري رحمه الله، وقد وضعت على صفحات متقابلة لتسهيل

١ - تلازمها: ارتباطها.

٢ - قلبًا: عكسًا.

٣ - مارج من نار: نار لا دخان لها.

٤ - ليف: جماعة.

على القارئ متابعة الآيات ومعاني الكلمات وهداية الآيات عند التلاوة.

٢- شرح وتفسير عام ومبسّط للسورة من كتاب «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم» للشيخ محمد الغزالي رحمه الله.

٣- شرح تفصيلي للسورة من محاضرات وخواطر الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله.

وقد قام بمراجعة الكتاب وتصحيحه الأستاذ محمد عماد قلب اللوز، أستاذ الشريعة واللغة العربية، جزاه الله عنا كل خير.

هذا ما تيسر لي جمعه ووضعته في هذا الكتاب، والذي أرجو أن يلقي القبول، سائلاً المولى عز وجل أن يوفقنا إلى العمل بما يرضاه، وينفعنا بما علمنا؛ إنه السميع العليم.

والله الموفق إلى سواء السبيل





سورة الواقعة

آياتها: هي سورة «مكية»، وآياتها ستة وتسعون آية، وترتيبها السورة (٥٦) السادسة والخمسون، وهي في الجزء السابع والعشرين من المصحف الشريف.

تسميتها: سُميت السورة بهذا الاسم لافتتاحها به ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ١، ولتسمية النبي صلى الله عليه وسلم لها بذلك؛ فقد روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، قد شِبتَ، فقال له عليه الصلاة والسلام: «شَيَّبْتَنِي هُوْدٌ، وَالْوَأَقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ».

و (الواقعة) اسم من أسماء يوم القيامة.

سبب نزولها: لانعلم سببًا خاصًا لنزول سورة الواقعة جملةً واحدة إلا ما ورد من نزول بعض آياتها..

* روى مسلمٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا» [والنوء: منازل القمر والنجوم]، فنزلت هذه الآيات: (فلا أقسم بمواقع النجوم... حتى بلغ... وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)، والله أعلم.

* وقد روى أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم - بسند ضعيف - عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت آيات: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (١) ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٢) ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٣) ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٤) ذلك على الصحابة، فنزلت الآيات عن أصحاب اليمين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٣٩) ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٤٠) والله أعلم.

فضلها:

* كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الفجر سورة الواقعة ونحوها من السور، كما روي عن جابر بن سمرة.

* وعن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ» (٥) «أَبَدًا» [رواه ابن عساکر].

* عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنساء: «لَا تَعْجِزُ» (٦) إحدائكنَّ أن تقرأ سورة الواقعة».

* وروي عن مروان بن الأصدع - وهو أحد أعلام التابعين - أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْلَمَ بِنَبَأِ (٧) الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ، وَنَبَأِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَنَبَأِ أَهْلِ

١- ثَلَاثَةٌ: جماعة كثيرة.

٢- الْأُولَىٰ: من الأمم السابقة.

٣- الْآخِرِينَ: أمة سيدنا محمد ﷺ.

٤- شَقٌّ: صَعْبٌ وَثَقُلٌ.

٥- فاقَةٌ: الفقر والحاجة.

٦- تعجز: لا يصعب عليها.

٧- نبأ: خبر.

النار، ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة = فليقرأ سورة الواقعة».

محور السورة: تقرير وقوع يوم القيامة لا محالة^(١)، ووصفها للتخويف منها.

وهي تُري الناس عجزهم المُطلق أمام قدرة الله عز وجل وأمام إرادته ومشئته.

معاني الكلمات:

١- وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ: قامت

القيامة، وسميت واقعة لأنها واقعة لا محالة.

٢- لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ: عند

وقوعها لن توجد نفس تكذب بها كما كانت تكذب بها في الدنيا.

٣- حَافِضَةٌ رَافِعَةٌ: تحفّض

أقوامًا بدخولهم النار، وترفع آخرين بدخولهم الجنة.

٤- رُحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا:

حُرِّكَتْ حركةً شديدةً.

٥- وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا:

فُتَّتَتْ تفتيتًا.

٦- فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا:

عُبَارًا منتشرًا.

٧- وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً: العباد يوم القيامة أصنافٌ ثلاثة.

٨- فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ: الذين يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بَأْيَانِهِمْ.

٨- مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ: التكرار تعظيمًا لشأنهم.

٩- وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ: الذين يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِشِئَانِهِمْ.

٩- مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ: التكرار هنا تحقيرًا لشأنهم.

١٠- وَالسَّابِقُونَ: وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة.

١٠- السَّابِقُونَ: تعظيمٌ لشأنهم.

١١- أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ: هم المقربون الذين يقرّبهم الله تعالى منه يوم القيامة.

١٢- فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ: في بساطين النعيم الدائم.

١٣- ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى: جماعة كبيرة من الأمم الماضية.

١٤- وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ: من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

١٥- مَوْضُونَ: منسوجة بالذهب والجواهر.

١٦- مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ: جالسين ساندين

ظهورهم، وجوههم متقابلة.

سُورَةُ الْوَاقِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ② حَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③

④ إِذَا رُحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا ⑤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ⑦

⑧ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ⑨ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑩

⑪ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑫ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ⑬

⑭ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ⑮ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ⑯ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ⑰ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ⑱

⑲ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ⑳ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ ㉑

㉒



من هداية الآيات

الآية: ٢ / ١ - تقرير عظيم أحوال يوم القيامة، وهي أكبر واقعة ستقع في الكون.

الآية: ٣ - الإيمان والتقوى يرفعان الإنسان، والشرك والمعاصي يُضعفانه.

الآية: ٤ / ٦ - في يوم القيامة سوف تُزلزل الأرض وتزول الجبال وتستوي الأرض ليوم الحشر.

الآية: ٧ / ١١ - تقرير أن الناس أصنافٌ ثلاثة:

١ - السابقون (المُتقَّبون) بالإيمان والتقوى، وهم أصحاب الرتبة الرفيعة والدرجات العُلا في الجنة.

٢ - أصحاب اليمين، وهم أصحاب الإيمان والخير (والتوابون من المعاصي)، وهم في الجنة، ولكنهم في درجة أدنى من درجة (السابقين).

٣ - أصحاب الشمال، وهم الكفار والمنافقون والمشركون، وهم في نار جهنم والعياذ بالله.

الآية: ١٠ / ١٤٠ - بيان أن (السابقين) يكونون من مؤمّنين جميع الأمم (حتى قبل الرسالة المحمدية).

الآية: ١٠ / ١٢ - تقرير فضيلة المسابقة إلى فعل الخيرات والطاعات في كل زمان ومكان وحال.

الآية: ١٣ / ١٤ - تقرير أن الجزاء من جنس العمل؛ فأصحاب الخير سيُجزَوْنَ بالخير، (وأما أصحاب الشر فنهايتهم جهنم والعياذ بالله).

- تقرير فضل (سَلَفِ) هذه الأمة - في الجملة - على مُتأخريها (لجهادهم ونقلهم الحق لنا).



معاني الكلمات:

١٧- **وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ**: أولادٌ لا يَرمون ليخدموهم أبداً.

١٨- **وَأَكَّسَ مِنْ مَّعِينٍ**: شراب من نهر جارٍ لا يتقطع أبداً.

١٩- **لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا**: لا يحصل لهم من شربها صداعٌ.

١٩- **وَلَا يُزْفُونَ**: لا تذهب عقوبتهم

٢٠- **وَتَكْهَمُونَ وَمَا يَنْخَبِثُونَ**: يختارون من الفاكهة ما يعجبهم

٢٢- **وَحُورٌ عِينٌ**: نساء مخلوقات لأهل الجنة، جميلات واسعات العيون.

٢٣- **كَأَمْثَلِ الثُّلُوبِ الْكَتُونِ**: في جاهلن وصفاتهن.

٢٥- **لَقَوْمًا وَلَا تَأْتِيَانَا**: اللغو: الكلام الذي لا خير فيه، والتأثيم: الكلام الذي يُوقِعُ في الإثم.

٢٦- **إِلَّا قِيَلَا سَلَمًا سَلَمًا**: لا يسمعون إلا السلام من الملائكة ومن بعضهم لبعض.

٢٨- **سِدْرٍ مَحْضُورٍ**: شجر سدر لا شوك فيه.

٢٩- **وَطَلِحٍ مَنضُورٍ**: كشجر موز مضموم بعضه إلى بعض.

٣٠- **وَطَلِحٍ مَمْدُودٍ**: دائم الظلال.

٣١- **وَمَاءٍ مَسْكَوبٍ**: ماء مصبوب.

٣٣- **لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ**: غير مقطوعة في زمن، ولا ممنوعة بئتمن عمال.

٣٤- **وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ**: على السرر العالية الرفيعة.

٣٥- **إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً**: الحور العين، أنشأهن ربهن إنشاءً خاصاً.

٣٦- **فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا**: أبكاراً: جمع بكر، وهي العذراء من النساء.

٣٧- **عُرُبًا**: العروبة: هي المرأة المتحبيبة إلى زوجها.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ

﴿١٨﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفِكَهَمَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ

﴿٢٠﴾ وَلِحَرِطِيرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الثُّلُوبِ

الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا

تَأْتِيَانَا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيَلَا سَلَمًا سَلَمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ

الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَحْضُورٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلِحٍ مَنضُورٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ

﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكَوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَمَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا

مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ

أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ

الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ

الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِمَّنْجُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ

وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ

عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا

وَعِظْمًا أَمْ نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ آبَاءُؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ

الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

٤٥- **كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ**: في الدنيا.

٤٦- **مُتْرَفِينَ**: مُتَعِينِينَ.

٤٧- **وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِنَّا**: ينكرون البعث.

٤٧- **أَمْ نَا لَمَبْعُوثُونَ**: يسخرون من يوم البعث (القيامة).

٤٨- **أَوْ آبَاءُؤُنَا الْأَوَّلُونَ**: وأجدادنا وأسلافنا سيُبعثون أيضاً!!!

٤٩- **الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ**: كل المخلوقات من بدء الخليقة وإلى يوم القيامة.

٥٠- **مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ**: وقت يوم القيامة.

٣٧- **أَتْرَابًا**: في سِنٍّ واحدة.

٣٩- **ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأُولَىٰ**: جماعة كثيرة من الأمم السابقة.

٤٠- **وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ**: جماعة كبيرة من أمة سيدنا محمد ﷺ.

٤١- **وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ**: وهم أهل الشرك والمعاصي في الدنيا.

٤١- **فِي سُمُورٍ**: رينج حارّة تنفّذ في مسام الجسد.

٤٢- **وَحَمِيمٍ**: ماء مغلي شديد الحرارة.

٤٣- **مِجْمُورٍ**: دخان شديد السواد.

٤٤- **لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ**: لا باردٍ كغيره من الظلال، ولا هو يدفع أذى الحرّ.



من هداية الآيات

الآية: ١٧/ ٤٠- أعدَّ اللهُ النعيمَ لأهل الجنة ثواباً على ما عملوه في الدنيا من عمل صالح وبرٍّ وإحسان.

الآية: ٢٤- تقرير أن مفتاح دخول الجنة هو الإيمان ونوعية العمل والتقوى؛ فلا دخل للحَسَبِ ولا للتَّسَبُّبِ ولا لكثرة العمل.

الآية: ٢٦- يُستحبُّ السلام والتسليم على العباد الذين لهم صفات أهل الجنة (المؤمنين).

الآية: ٣٧- من أسباب الاستقرار الأسريِّ تَوَدُّدُ أحد الزوجين إلى الآخر في الدنيا.

الآية: ٤٠/ ٤٤- ضرورة البعد عن صفات أهل الشمال (الكفار والمنافقين)، والاستعاذة بالله منهم.

الآية: ٤١/ ٤٤- أصحاب الشمال يدخل فيهم كلُّ مَنْ كفر بالله، وهم أضعاف عدد السابقين وأصحاب اليمين؛ لأن أكثر الناس لا يؤمنون إيماناً حقيقياً.

الآية: ٤٥- التنديد بالتَّرفِّ والتنعيم الزائد عن الحدود المقبولة في هذه الحياة الدنيا؛ فإنه يقود إلى ترك التكاليف الشرعية؛ فَيُهْلِكُ صاحبَه.

الآية: ٤٦- إن الإصرار على الشرك بالله مَصِيرُهُ النارُ في الآخرة لا محالة.

الآية: ٤٧/ ٤٨- عَدَمُ الإيمان بالآخرة والجزاء والحساب والعقاب مآله جهنم.

الآية: ٤٩- الحساب يومَ الجزاء سوف يكون لكافة المخلوقات من وقت سيدنا آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة.

الآية: ٥٠- تقرير أن يوم القيامة قائمٌ لا محالة في يوم محدد عند الله رب العزة، وهو غير معروف لأحد، وإنما هناك علامات لِقُرْبِ وقوعه (ذكرها الرسول ﷺ).





من هداية الآيات

الآية: ٥٧/ ٥٩- تقرير خَلَقَ اللهُ لِلإنسان بدءاً من مَنِيَّ الرجل يلقح بويضة المرأة، ثم يمرُّ بمراحل حتى يُنشَأَ خَلْقًا آخر (كما ورد في سورة المؤمنون آية: ١٣- ١٤).

الآية: ٦٠- قَدَّرَ اللهُ الموتَ على كل مخلوقاته، ولكلِّ قيامَةٍ في يوم معلوم.

الآية: ٦١- اللهُ قادر على تغيير الخلق كما يريد من الصور والصفات والأحوال في الدنيا والآخرة.

الآية: ٦٢/ ٧٢- تقرير أن اللهُ تعالى خالق الأكوان والمخلوقات والإنسان والحيوان والزرع والنبات... ومُنزِلُ المَاءِ من السماء بمقدار، ومُهَيِّئُ الأسباب والمسببات لبني آدم وجميع المخلوقات لتعينهم على العيش في الدنيا.

الآية: ٦٣/ ٦٥- بيان مَنِّ اللهُ تعالى وكرمِهِ وفضله على عباده في حياتهم وطعامهم وشرابهم وسائر نِعَمِهِ عليهم.

الآية: ٧٠- وجوب شكر اللهُ تعالى -باستمرار- على إفضاله وإنعامه، وأولها نعمة الإيمان والإسلام.

الآية: ٧٣- خلق اللهُ نارَ الدنيا، وضرب بها مثلاً للإنسان للتذكرة بنار جهنم والعياذ بالله.

الآية: ٧٤- وجوب تسييح اللهُ وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وكماله من العبث أو الشريك.

الآية: ٧٥- اللهُ تعالى يُقَسِّمُ بما شاء من مخلوقاته، والعبد لا يُقَسِّمُ إلا بربه سبحانه وتعالى.

الآية: ٧٥/ ٧٦- ثبت علمياً وبشكل قطعي أن كلَّ النجوم التي تَمَّ رصدها متحركة (لهذا جاء القسم بمواقعها)، والسبب في أننا لا نرى حركة هذه النجوم هو أن أعمارنا قصيرة بالمقارنة بأعمار الأجرام السماوية بشكل عام، وما زال علمُ مواقع النجوم في بداية الطريق؛ لأن حجم المعلومات التي تم جمعها لا يكفي، ولأن ذلك يحتاج إلى أجهزة عملاقة، وإلى عشرات السنين، وإلى مئات العلماء لرصد مواقع النجوم في مجرتنا فقط (دَرْبِ التَّبَانَةِ)... فما أَعْظَمُهُ من قَسَم.



معاني الكلمات:

٧٧- **إِنَّهُ لَقَرِيبٌ أَنْ تُكْرِمَهُ**: القرآن كريم، (حيث كُذِّبَ به المشركون).

٧٨- **فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ**: أي: مضمون (مخفوف) من الله، وهو المصحف.

٧٩- **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**: من الملائكة والأنبياء، وكلُّ طاهر من الحدّين (الأكبر أو الأصغر).

٨٠- **تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**: مُنزَّلٌ من رب العالمين جَلَّ جلاله.

٨١- **أَفْهَذَا الْكُذِّبُ**: أي: بالقرآن.

٨١- **أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ**: تُليّنون القوَل للمكذّبين بالقرآن عملاً (مجاملة) منكم لهم.

٨٣- **فَلَوْلَا**: أي: فهَلَا، وهي للخصّ على العمل والحثّ عليه.

٨٣- **إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ**: الحنجرة، وذلك وقت النزاع الأخير عند الموت.

٨٤- **وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تُنظَرُونَ**: وأنتم أيها الواقفون أمام من حَصَرَته الوفاة تنظرون إليه.

٨٥- **وَمَنْ أَوْقَبَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ**: أي: ورُسُلنا (ملك الموت وأعوانه) أقرب إلى المحتَضِر منكم.

٨٥- **وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ**: لا ترون ملائكة الموت.

٨٦- **فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ**: غير مُحاسِبِينَ بعد الموت.

٨٨- **فَأَمَّا إِنْ كَانَ**: أي: الميت.

٨٨- **مِنَ الْمُقْرَبِينَ**: من السابقين، وهم الصنف الأول.

٨٩- **فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ**: روح، استراحة، أي: رزق حسن وجنة نعيم.

إِنَّهُ لَقَرِيبٌ أَنْ تُكْرِمَهُ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفْهَذَا الْكُذِّبُ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ أَوْقَبَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّاتٌ نَجِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْأَعْيُنِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَحْسَبِ الْأَعْيُنِ ﴿٩١﴾ وَأَمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَزُلْ مِنْ جَحِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

٩٠- **وَأَمَا إِنْ كَانَ مِنَ أَحْسَبِ الْأَعْيُنِ**: من الصنف الثاني، فسلام لك يا صاحب اليمن من إخوانك، يسلمون عليك في جنات النعيم.

٩٢- **الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ**: المكذّبين بوجود الله والبعث والحساب.

٩٣- **فَزُلْ مِنْ جَحِيمٍ**: له مَبِيَّتٌ في ماءٍ مَغْلِيٍّ شديد الحرارة.

٩٤- **وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ**: أي: احتراقٌ بنار جهنم.

٩٥- **إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ**: إن هذا الذي قصصناه في هذه السورة هو أمرٌ صحيحٌ وثيقٌ، وحقيقةٌ لا مَهْرَبَ منها.

٩٦- **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**: تَزَهُ وَقدَّسَ رَبُّكَ الْعَظِيمِ.



من هداية الآيات

الآية: ٧٧/٧٨/٨٠- تقرير الوحي الإلهي، وإثبات النبوة المحمدية، وأن القرآن الكريم مُنَزَّل من عند الله تعالى، وأن الله حَافِظُهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الآية: ٧٩- وجوب صيانة القرآن الكريم وتقديسه، وحُرْمَةُ مَسِّهِ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ.

الآية: ٨٠- تقرير أن أحكام القرآن الكريم كُلُّهَا عَدْلٌ، وأخْبَارُهُ كُلُّهَا صِدْقٌ (لأنه كلام الله تعالى).

الآية: ٨١/٨٢- حرمة المُدَاهَنَةِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وهي أن يتنازل المؤمن عن شيء في الدين ليحفظ شيئاً من دُنْيَاهُ، ولكن المُدَارَاةَ جَائِزَةٌ، وهي أن يتنازل عن دنياه ليحفظ دينه.

الآية: ٨٢/٨٧- إِنَّ عَجَزَ الْإِنْسَانِ عَلَى رَدِّ رُوحِ الْمُحْتَضِرِ لِيَعِيشَ بَعْدَ ذَلِكَ - ولو ساعة - دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ، وهو المُؤْمِيتُ، وأنه لا إله إلا الله تعالى سبحانه.

الآية: ٨٧/٩٥- تقرير عقيدة البعث والحساب والجزاء في الآخرة لا محالة.

الآية: ٩٦- بيانُ عَجَزِ كُلِّ النَّاسِ وَالْحَضَارَاتِ وَالْمَدِينَاتِ أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فهو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته، فله الحمد وله الشكر على كُلِّ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا، وَأَوَّلُ ذَلِكَ نِعْمَةُ الْإِبْرَاهِيمِ، ثم الإيمان والإسلام والرزق والعافية.





التفسير الموضوعي لسورة الواقعة

من كتاب «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم للشيخ الداعية محمد الغزالي رحمه الله»

«الواقعة» من أسماء شتَّى ليوم القيامة، مثل «الحاقة» و«القارعة» و«الساعة»، ومَعالم^(١) هذه السورة واضحة، فهي تبدأ بحديثٍ وجيزٍ عن انتهاء العالم وبدء الحساب، ثم تذكر صنوفَ الناس بعد البعث، وهم أصحاب السبق البعيد^(٢)، وأهل اليمين، وأهل الشمال.

وتسوق بعد ذلك خمسة أدلَّة على أن البعث حقٌّ، وأن إنكاره خَبالٌ^(٣)، وتختتم بوصفٍ لرحيل البشر عن هذه الدنيا بالموت، وبوادر تصنيف الأقسام الثلاثة، السابقين وأهل اليمين وأهل اليسار^(٤).

إن كثيرًا من الناس تحت مشاغل العيش ووَطأة الشهوات وسكرة الحاضر لا يُحسُّون إلا وُجودَهم الماديَّ الغريب، يقول أحدُهم وهو ذاهلٌ^(٥): ما أظن الساعةَ قائمةً! ويقول الآخر: إن هي إلا أرحامٌ تدفَع^(٦)، وأرضٌ تَبَلَعُ، وما يَهْلِكُنَا إلا الدهرُ!^(٧)، وقد يجلفون على هذا المُجون^(٨)،

١- معالم: ما يستدل بها من علامات.

٢- سبق البعيد: القديم في الزمان.

٣- خبال: اختلال العقل.

٤- اليسار: الشمال.

٥- ذاهل: غافل.

٦- تدفع: تُلدُّ.

٧- الدهر: الزمن.

٨- المجون: اللهو والعبث.

ويؤكدون ألا حياة بعد الموت ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ
مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

وترى ميت الغديشيع^(١) ميت اليوم، وهو يحدث صاحبه فيما يراوده
من أملٍ، ويُخامرُه^(٢) من طمع، غير مستفيدٍ من موكب الموت عبرة! وتمضى
القرون وتطوى^(٣) الجماهير، والمنكرون يزيدون ولا ينقصون، وللكفر
صوت عالٍ في المشارق والمغارب.

وبغته^(٤) تقوم الساعة، ويخرس صوت الإلحاد، ويتبدد صدهاء ﴿إِذَا
وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْفِعْنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾.

إن الإنسان بطبعه مجادلٌ عنيد، ولكن ما عساه يقول وقد وقع
الهلول^(٥)؟ لقد جفت حلوق الأفاكين^(٦)، فما يقدرّون على لغو^(٧)!

﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾. هناك رؤساء وملوكٌ سيبعثون سوقة^(٨)
وصعاليك؛ لأنهم ما أعدوا لهذا اليوم عدة!! وهناك أخفياء^(٩) مغمورون

١- يشيع: يتبع ويودّع.

٢- يخامرُه: يلازمه.

٣- تطوى: تفتنى وتموت.

٤- بغته: فجأة.

٥- الهول: الفزع المخيف.

٦- الأفاكين: الكذابين.

٧- لغو: كلام بلا فائدة.

٨- سوقة: مبتدل.

٩- أخفياء: الذين إذا غابوا لم يفتقدوا.

سيكونون يوم القيامة قمماً، قال رسول الله ﷺ: «وَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [رواه البخاري]، إنه يوم تصحيح الأوضاع، وفناء الزور^(١)، وجلاء الحق!

ومن المفسرين مَنْ يَرَى الخفض والرفع في سطح هذه الأرض، كما جاء في الحديث الشريف: «يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ عَفْرَاءٍ»^(٢) كَقَرَصَةِ النَّقِيِّ^(٣)، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ^(٤) لِأَحَدٍ» [رواه مسلم].

الْكُلُّ حُفَاةٌ عُرَاةٌ قِيَامٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٥﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾^(٦)

طه: ١٠٥-١٠٧].

وَكِلَا التفسيرين يُكْمَلُ الآخر، ليس بينهما تدافع^(٧)، فهناك زلزال اجتماعي يهدم ما شاء الناس من أباطيل ووضعوا من أنساب وألقاب، وهناك زلزال مادي بدأ وصفه في قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾﴾.

مع قيام الساعة تهيج زلازل تهدُّ كلَّ شيء، وتتحوّل بها الصخورُ

١- الزور: الكذب والباطل.

٢- عفراء: خالصة البياض.

٣- قرصة النقي: الدقيق المنقى.

٤- معلم: علم.

٥- قَاعًا صَفْصَفًا: أرضًا مستوية لا نبات فيها.

٦- عِوَجًا وَلَا أَمْتًا: لا وادياً ولا رابية.

٧- تدافع: تعارض.

الصَّلْدَةُ^(١) إلى ذرٍّ^(٢) كتلك الكائنات الدقيقة التي تسبح في الشعاع!
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾.
[إبراهيم: ٤٨].

ولسنا ندري كم نبقى هنا إلى أن تتبدل الأرض؟ عشرات ومئات من القرون؟ إن تحديد الرقعة الزمانية غير مهم، المهم هو استتابة^(٣) الحصاد الأخير لهذا التاريخ الطويل.

وقد بين الله سبحانه أن أبناء آدم سيتوزعون على ثلاث زُمَرٍ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّعِيدُونَ السَّعِيدُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾.

ذكرت سورة الواقعة أدلةً على أن البعث حق، فذكرت خمسة أدلة متنوعة من آفاق الكون وتجارب الناس:

الدليل الأول: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ﴿٥٧﴾، لماذا يُتهم صاحبُ الخلق الأول بالعجز عن الخلق الثاني؟ إنني عندما أنشئ درساً أتعب فيه، فإذا أعددتُه كان عليَّ سهلاً!

وتَنَزَّلًا مع هذا الفكر يقول الله في آية أخرى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. وليس عند الله سهل وصعب وهين وأهون؛ ولذلك أتبع هذا التنزل بقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى

١- الصلدة: المتينة.

٢- ذر: رماد.

٣- استتابة: الرجوع عن الذنب.

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ [الروم].

وقد تكرر هذا الدليل في سور كثيرة، وهو بديهي لا يردُّه إلا مكابرٌ بليد^(١) ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفْنًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١].

والقرآن الكريم يُلحُّ في طلب النظر واستقصاء^(٢) الفكر في هذا الوجود لمعرفة البدء والعودة!!

إننا موجودون يقيناً، فكيف وُجِدْنَا؟ والمتأمل في النشأة الآخرة^(٣) يرى استبعاده حماقة! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ١٩-٢١].

وقد لُحِصَتْ هذه المعاني كلها في آية قصيرة: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا

تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

الدليل الثاني: إن الذي خلق العالم لأول مرة لم يبذل فيه جهده ويستنفد قدرته! إنه كل يوم، بل كل ساعة، بل في كل طرفة عين يتجدد

١- مكابر بليد: جامد ثقيل الفهم.

٢- استقصاء: البحث في التفاصيل.

٣- الآخرة: الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

٤- تُقْلَبُونَ: تردون وترجعون.

خَلَقَهُ! ويبدو ذلك في تحلُّق البشر، واستقبال ذرِّيَّات (١) جديدة باستمرار،
وتقرر هذا الدليل في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ
نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيَّ أَنْ تُبَدِّلَ
أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

والمنِّيُّ سائلٌ عجيب! فهذا الماء المَهِين (٢) - في منطِق القادر الأعلى -
تحمِلُ الدفِقة الواحدة منه مائتي مليون حيوان منوي، هذا الحيوان الذي لا
يُرى لضآلته يحمل في كيانه كلَّ خصائص النوع الإنساني المادية والمعنوية.

ذلك معروف من قديم؛ ففي قصة الملاعنة (٣) التي وردت في سورة
النور يقول الرسول الكريم في المرأة الحامل المتهمة: «إِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ
الْعَيْنَيْنِ، سَابِغٌ (٤) الْأَلْيَتَيْنِ (٥)، خَدَلَجَ السَّاقَيْنِ (٦)، فَهُوَ لِشَرِيكَ بْنِ سَحْمَاءَ
الَّذِي رُمِيَ بِهِ». [رواه ابن ماجه].

انظر كيف انتقلت الصفات الجسدية من الأب للابن عن طريق
الحيوانات المنوية، وكما تنتقل هذه الصفات العقلية والخلقية!

هل في الخصيتين مصانع عالمية تديرها عصابة من العباقرة تصنع

١- ذرِّيَّات: جمع ذرية وهو النسل.

٢- الماء المهين: مني الرجل، ومهين أي: ضعيف، وقيل: الذي له مهنة محدّدة.

٣- الملاعنة: اللّعان في الشريعة يحدث عندما يتهم الزوج زوجته بالزنا دون أن يأتي بأربعة شهود،
وله تفصيل في كتب الفقه.

٤- سابغ: عظيم، كبير.

٥- الأليتين: مقعدة الإنسان.

٦- خدلج الساقين: عظيمهما وطويلهما.

ذلك؟ لاشيء هنالك، إن هذه الغدد تأخذ مادتها من الدم، والدم يجيء من الغذاء، والغذاء يجيء من الطين!

والمشرف أولاً وآخرًا على هذه الأطوار هو الله ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ [السجدة: ٧-٩].

والدهش أن الإنسان يتخلق من حيوان منوي واحد فقط، والبقية الأخرى من المائتي مليون تذهب إلى دورات المياة! كأن الله يقول للإنسان المتكبر: إن إيجادك وإيجاد مليارات مثلك لا يكلف شيئًا.

قلت لامرئ أحق يزعم أنه يشتغل بالفلسفة: من صنع الحيوان المنوي الذي اخترقها واستقر فيها؟ إن كُلاً من أبويك لا يدري شيئاً! وتجيء أنت تصنع الإلحاد^(١) ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢).

الدليل الثالث: إن الأرض التي تحيا فوقها حافلة بالروائع؛ فأنت واجدٌ بها جنات معروشات^(٢) وغير معروشات، وحقولاً وغياباتٍ وأنواعاً من الثمار لا حصر لها بين حبوب وفواكه وموالح وزيتون وأنسجة، وألواناً من الأزهار المختلفة الريح والصبغة.. إلخ.

من مُنشىء ذلك كله؟ إن الفلاح يشق الأرض ويلقي البذر ولا يدري شيئاً بعد؛ إنه يشهد ما تصنع القدرة العليا، ويستقبل هدايا الله وهو

١- الإلحاد: عدم الاعتقاد بوجود الله تعالى.

٢- معروشات: أماكن مظلمة بأغصان متشابكة كعريش العنب.

مستسلم! أما يدفع شيئاً من هذا إلى معرفة المنشئ المبدع؟ أما يبعث ذلك إلى إدراك قصة الحياة والموت؟!

في سورة الواقعة إشاراتٌ إلى ما في الزرع والحصاد من دلائل على البعث الأخير: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ءَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾. إن إحياء الأموات قصة تتكرر في أرجاء الدنيا، ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا ﴿٣٣﴾ ﴾، وإخراج البشر من الأجداث^(١) لا يزيد عن إخراج النبات من ظلمات التراب حاملاً صنوف المعادن والمواد المذهلة ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نباتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح: ١٧-١٨]. وفي سور أخرى بيان أكثر ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدْتَهَا وَقَلَّيْنَا فِيهَا رُوسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٧-٨].

إن التوبة هنا يقظة^(٢) عقل كان غافياً فصحا، وكان ذاهلاً^(٣) فانتبه.. نعم الخروج للقاء الله ومواجهة الحساب مثل هذه الزروع التي خرجت من التربة العفنة السبخة^(٤) تحمل السكر والدهن والنشا وتتوزع عليها ألوان الطيف.. ثم يدعو إلى إنكار البعث وفي كل حين بعث.

قد يتصور الفلاح أن له عملاً فيما يتم، فبين الله أنه لو أراد دمراً ما أنشأ وأسلمه إلى أسراب الجراد ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ

١- الأجداث: القبور.

٢- يقظة: صحوة.

٣- ذاهلاً: غافلاً، ناسياً.

٤- السبخة: الأرض المستنقعة التي لا تصلح للزراعة.

إن بعث الأجساد كاستنبات^(١) الأرض، عمل تبرز فيه قدرة بديع السموات والأرض، ويجب أن يكون مثار إيمانٍ بالبعث والجزاء.

لنتدبَّر قصة الجزاء الأخروي والزعم بأنه روحاني!

من المعلوم أن الإنسان جسم وروح، فهل صحيح أن التسامي^(٢) المنشود للإنسان لا يتم إلا بتدمير الجسد وتجاهل مطالبه؟ إنني لم أر في الكتاب والسنة أي إشارة إلى تعذيب الجسد وإشقاؤه!

نعم، هناك صيام مشروع، وتعرُّضٌ للعطش والجوع، وهناك صلاة قد يطول فيها السجود والقيام، وقد تتورم فيها الأقدام، وربما اكتسب الإنسان رزقه من حرفة يَنْصَبُ^(٣) فيها ويتصبب عرقه، وربما انتهت حياته بالقتل في سبيل الله؛ فترَهَقُ^(٤) رُوحُهُ، ويُرَاق دُمُهُ.

لكن ذلك كله فحوى الامتحان الإلهي للإنسان روحًا وجسدًا، وحظ الروح من هذا الامتحان قسيم^(٥) لحِظَّ البدن، بل دور البدن هنا الوسيط، فهو ينقل ما يصيبه إلى الوعي، ومع الوعي يكون التحمل واتجاه الإرادة إلى مرضاة الله.

١- استنبات: إخراج النبات من الأرض.

٢- التسامي: الترفع، التعالي والتفاخر.

٣- ينصب: يتعب

٤- ترهق: تخرج.

٥- القسيم: هو الذي يقاسم غيره شيئًا.

ولو وقف الألم مكانه - بالبنج مثلاً - ولم يشعر المرء بشيء حتى الموت
ما كان له من فضل!

إن الإنسان جنس يتميز بخصائصه، وقد خلقه الله في أحسن تقويم،
فلا يجيء رجل أو امرأة فيقول: إن الجسم حقير وينبغي أن يهان ويُعذَّب!
وعندما خلق الله آدم قال له: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا...﴾ [البقرة: ٣٥]. فأين تعذيب الجسد في هذه الإباحة؟!

وخلق الله الرسل، وجعلهم صَفْوَةً^(١) خَلِقِهِ، وقال لهم: ﴿يَتَأْتِيهَا
الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:
٥١]، فأين آثار الحرمان في هذا التكليف^(٢)؟

ويسّر الله الأرزاق الطيبة للمؤمنين به، ولم يطلب إلا الشكر على ما
أنعم ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّهَا مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. فهل في هذا حربٌ على الجسد
وتخطيط لإهانته؟!

وبيّن الله - جلّ شأنه - أن أبناء آدم بعد رحلتهم الطويلة في أرجاء
الدنيا وتوارثهم عِمْرَانَهَا حيناً بعد حين سوف يعودون إلى الله كَرَّةً^(٣)
أخرى كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا
فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

١ - صفوة: خيرة ونخبة.

٢ - التكليف: طلب وإلزام بما فيه كلفة ومشقة.

٣ - كرة: مرة.

المقيّمات فلا نظعن^(١) أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كُنّا له وكان لنا...».

إن الذين جاهدوا في الدنيا هم المُستريحون في الآخرة، والقول بأن الأجسام تفنى فلا تعود، وأن الآخرة مسرح الأرواح وحدها، وأن ثوابها وعقابها معنويٌّ يشبه تأنيب الضمير أو راحة الضمير = قولٌ باطل لا أساس له.

ويبدو أنه انتقل إلى النصرانية من بعض الديانات الأرضية المُحرّفة، وكم سَطَّت^(٢) الوثنيات على الأديان فقوّضت^(٣) أركانها وَحَتَّ معالمها، والغريب أن الذين يحملون فلسفة الرهبانية وقهر الأبدان هم عنصر الهزيمة والاستسلام في الحضارة المعاصرة، وهي حضارة أسرفت على نفسها في إرواء الغرائز ويسّرت للرعاع^(٤) من فنون الملدات ما لم تشهده مقاصير^(٥) الملوك الأقدمين، وهكذا تقود الأخطاء إلى الخطيئات^(٦)!!

وفي دنيانا ننظر إلى جائزة (نوبل) مثلاً التي يصبو^(٧) إليها العلماء

١- نظعن: نساfer.

٢- سطت: قهرت وسيطرت.

٣- قوضت: هدمت ومزقت.

٤- الرعاع: سفلة القوم وغوغاؤهم.

٥- مقاصير: جمع مقصورة، وهي الدار الواسعة.

٦- الخطيئات: ما عظم من الذنوب.

٧- يصبو: يتطلّع ويشوّق.

الراسخون! إن في مَنْحِهَا تَقْدِيرًا أَدْبِيًّا تَهَشُّ^(١) له النفس! لكن التقدير الأدبي وحده لا يطعم من جوع ولا يؤمن من خوف، ومن هنا كانت الجائزة المرصدة^(٢) ثمينة وسخية.

ونمضي في شرح قصة الجزاء الهادي لنقول: إن مطالب الجسد محدودةٌ، وإجابتها قليلةُ الكلفة عندما تختفي رذائل الترف والسرف^(٣)! فهل هي فوق الجزاء المعنوي؟ نقول: لا.. وتفاوت المواهب والهمم والجهود يلقي أجزية^(٤) شتى بعضها أعلى من بعض!

قد يكون لك خادمٌ مخلصٌ تعطيه طبقَ الطعام فينظر إليه قبل أن ينظر إليك! وهو يشكر بك قوة لكن عينيه لا تعدوان^(٥) الطبق وما فيه كمًّا وكيفًا.. وهناك آخر يعرفك ويقدرُك ويعرّفُ الناس بك ويقدرُك، فإذا قدمت إليه الطبق كانت نظرتَه إليك أسبق وأعمق، وعندما يتناول الطبق منك يتمنى لو منحته كتابًا من تأليفك يزيدُه بك علمًا وتقديرًا! هل يستويان؟

إن من أهل الإيمان من تشغله أمجاد الألوهية، فهو معها في فرح دائم! أو حضور غالب^(٦)، وهو في سرّائه^(٧) وصرّائه^(٨) ناظرٌ إلى ربه وحسبٌ.

١- تهش: تضعف وتلين وتميل.

٢- المرصدة: المعدّة.

٣- السرف: الإسراف.

٤- أجزية: جمع جزاء.

٥- تعدوان: تجاوزان.

٦- غالب: في أكثر الأحيان.

٧- سرّائه: نعمه ومسراته.

٨- صرّائه: الأضرار التي قد تصيبه.

لكنَّ اللذة والألم قوانين نفسية لا ينفك^(١) عنها بشرٌ، وعندما يُعبرُ أهل الإيمان عن أحوالهم، فلن يخرقوا أبداً آداب الشرع^(٢) ويعتدوا حدود الله.

إذا قال الله: ﴿فَمَنْ زُحِرِحَ^(٣) عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فلا يجوز لأحد أن يقول: ما الجنة ونعيمها؟ إننا نريد وجه الله! هذا كلامٌ سقيم^(٤)!

هل يريد أن يرى وجه الله وهو في ظل شجرة الزقوم^(٥) - إن كان لها ظل -؟! إن الله يتجلى برضوانه على عباده المؤمنين وهم يرفلون^(٦) في حلل^(٧) الجنة ويمشون في ظلها الدائم.

وفيما ذكرنا شرح لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]. إن الرضوان الإلهي^(٨) أعلى من كل نعيم، وأقر للعين^(٩) من كل

١- ينفك: ينفصل.

٢- الشرع: الشريعة الإسلامية.

٣- زُحِرِحَ: أُبعد ودُفِع.

٤- سقيم: ضعيف لا قيمة له.

٥- شجرة الزقوم: شجرة في جهنم.

٦- يرفلون: يتبخرون، يمشون وهم منعمون.

٧- حلل: نعيم الجنة.

٨- الرضوان الإلهي: رضى الله سبحانه.

٩- أقر للعين: استقرار للقلب والعين التي هي بوابة القلب.

لذة، ولكننا نرفض سوء الأدب مع عبارات الشارع الحكيم [الله سبحانه
وتعالى].

وعلمنا أننا مجتمعون على أن ثواب الآخرة وعقابها مادديان وروحانيان،
وهناك حشود^(١) من الآيات والأحاديث تؤكد ذلك.

قد يخطئ بعض الرجال الطيبين؛ فينظر إلى نفسه وأحواله، ثم يُصدِر
حُكْمًا عامًا غامضًا في شؤون الناس، وذاك لا ينبغي!

نحن نعلم أن سيدنا عيسى وسيدنا يحيى عليهما السلام لم يتزوجا،
لكن كلاً الرسولين لم يشنَّ حربًا على الزواج، ولم يسُنَّ^(٢) مسالك
الرهبانية^(٣) المستوحشة؛ لأنهما لم يُبعثا لدمار الحياة! وعدم زواجهما هو
لظروف تخصُّبها وِحدَهُما.

وقد عاش ابن تيمية عازبًا، وكذلك عاش جمال الدين الأفغاني، ولم
يؤثِّر^(٤) عن أحدهما أنه دعا إلى عزوبة!

هناك نباتيون يكتفون في غذائهم بما يخرج من الأرض، أعرف منهم
العلامة محمد فريد وجدي، لتكن هذه طبيعته! فليس أكل اللحم فريضةً
دينية.. بيد أننا نعترض على هذه الطبيعة إذا حاول صاحبها جعلها دينًا.

١- حشود: مجموعة.

٢- يسن: يبدأ بعمل ويتبعه الناس بعد ذلك.

٣- مسالك الرهبانية: المراد: سلوك الرهبان الممتنعين عن الزواج.

٤- يؤثِّر: ترك أثرًا منه أو فيه.

وقد ارتكب أبو العلاء المعري هذه السخافة عندما مضى في إحدى قصائده يجرّم لحوم الأنعام والطيور، بل لقد حرّم عسل النحل، فما جمعتُه النحلة كي يكون لغيرها!! إلخ.

ومن هذا القبيل ما يجري على ألسنة بعض الأدباء اليوم من أن الجنة ليست «سوق خضار»! يرمي بذلك إلى إنكار الجزاء الماديّ وتهوين^(١) شأنه! وقد تأثر به ناسٌ في تاريخنا القريب والبعيد، وعدّوه تسامياً^(٢)، وهو جهل كبير!

إن أنس بن النضر [وهو صحابي جليل وُجد مقتولاً في معركة أُحُدٍ بثمانين ضربة سيف أو طعنة رمح] كان يرى ربّه، ويرى جزاءه الموعود، عندما استنكر موقفَ المنهزمين في موقعة أُحُدٍ، وأقبل وحده يقاتل المشركين، ويتحمل بجلْدٍ^(٣) عض السيوف في جلده، وهو يصيح: إني أشم ريح الجنة من وراء جبل أُحُدٍ!

هل هذا المؤمن العظيم رجلٌ واهمٌ! وهو الذي قال فيه رب العالمين: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ...﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وسيدنا جعفر بن أبي طالب الملقّب بـ (الطيار)، وهو صحابي جليل، وابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي احتضن علم الإسلام بيديه،

١- تهوين: تخفيف وتسهيل.

٢- تسامياً: التسامي: رفع النفس عن فعل ما لا يليق.

٣- جلد: الصبر مع القوة.

فما سقط إلا بعد أن انقطعت ذراعاه، فسارع بطل آخر لحمل العَلَمِ الغالي
[وذلك في موقعة مُؤتة في سنة ٨هـ].

لقد كان يتشوّق إلى الشهادة وهو يقول:

«يا حَبْدًا الجَنَّةُ وأقْتَرِأُهَا طيبةً وباردًا شَرَأُهَا».

فهل تَطَّلَعُ الرجلِ المَعْنِيَّ^(١) إلى الراحة في ظلال الجنة وَهَمُّ، أو ضعْفُ
فِكْرٍ - كما يزعم أصحاب الخلل في فِطْرَتِهِمْ^(٢) ونظرتهم؟! -

إن أنصافَ المتعلمين والمتدينين الذين يتكلمون في الإسلام وهم
بمعزِلٍ عن كتاب الله وسنة رسوله = خيرٌ لهم أن يصمتوا وأن يستحيوا!

وقد قرأت لبعض القساوسة المُبَشِّرِينَ بالنصرانية تهكُّمًا^(٣) بالجنة
الذهبية وجهنم النارية تنزيلاً بالأجزية^(٤) المادية التي شرحها الإسلام!
إن هؤلاء الناس متأثرون بأفكار أرضية وفلسفات مقطوعة الصِّلة
بالوحي^(٥)، ولْيُنظَرْ ماذا أسدوا^(٦) للإنسانية من خيرٍ بهذا الكلام؟! هل
ارتقوا بالحضارة المعاصرة وخففوا من كثافتها؟ هل حولوا العوام^(٧)

١- المعني: المقصود الذي نعيه، وهو سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢- فطرتهم: الفطرة هي الطبيعة السليمة التي خلقنا عليها.

٣- تهكُّمًا: استهزاءً واستخفافاً.

٤- الأجزية: جمع جزاء.

٥- مقطوعة الصِّلة بالوحي: لا علاقة لها بتعاليم الله تعالى.

٦- أسدوا: قدّموا.

٧- العوام: الشريحة الغالبة من الناس.

والخواص^(١) إلى روحانيين يكتبون الشهوات ويحلّقون في السماوات؟ إنهم أخطؤوا في علاج النفس البشرية، ولم يعرفوا المفتاح الذي يدور في أقفالها فتفتح! إن مقادير ضخمة من الترهات^(٢) تسكن في عقول القوم وأفئدتهم، صرفت أولى الأبواب عن الدخول في الدين، واحترام موارثه.

إن الإنسان الذي هو مادة وروح لا يصلح إلا بتعاليم تعترف بهادته وروحه معاً، وهذه التعاليم حمل رايّتها الأنبياء كلهم، ومن بينهم سيدنا موسى عليه السلام الذي قال معتذراً عن قومه: ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ ﴿[الأعراف: ١٥٥-١٥٦]، وقبله سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي دعا ربه قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي ﴿٣﴾ يَوْمَ يَبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ﴿٤﴾ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ ﴿[الشعراء: ٨٣-٩١].

١- الخواص: المثقفون وذوو التخصصات العلمية.

٢- الترهات: الأعمال التافهة الخالية من النفع.

٣- وَلَا تُخْزِنِي: لا تفضحني وتذلني بعقابك.

٤- وَأُزْلِفَتِ: قُربت وقُدمت.

٥- لِلْغَاوِينَ: الضالين المتقادين للهوى.

ينقسم أهل النعيم في هذه السورة إلى قسمين:

الأول: السابقون بالخيرات، والثاني: الفائزون بقدر راجح^(١) من الحسنات! أما من بقي فهم أصحاب الشمال.. وأخطأ البعض فحسب أن هذه الأصناف الثلاثة هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ^(٢) وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

إن سورة الواقعة تحدث عن الناس كُلِّهم، مؤمنهم وكافرهم، أما الآية في سورة فاطر فهي تتحدث عن المسلمين خاصة، وصدر الآية^(٣) يدل على ذلك: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا^(٤) مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، بينما وصفت سورة الواقعة أهل السبق^(٥) بأنهم ﴿ثَلَاثَةٌ^(٦) مِنَ الْأَوَّلِينَ^(٧) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ^(٨)﴾.

ويرى البعض أن الثلاثة من الأولين تعني أصحاب الأنبياء الذين سبقوا محمداً برسالاتهم، وأن القلة من الآخرين تعني المسلمين! ويظنون أن هذا طبيعي لكثرة من سبق من أنبياء وأمم!

والذي نراه أن الوصف هنا لأمة محمد ﷺ وحدها، وأن الثلاثة من

١- راجح: ثقيل، غالب في الوزن.

٢- مُّقْتَصِدٌ: معتدل في العبادة، غير مجتهد فيها، ولكنه مستقيم في أعماله.

٣- صدر الآية: مقدمة وأول الآية.

٤- اصْطَفَيْنَا: اخترنا وفضلنا.

٥- أهل السبق: السابقون الفائزون.

٦- ثَلَاثَةٌ: جماعة كثيرة من الناس.

الأولين هم سَلَفُنَا الصالح^(١)، الذين نشروا الدين في أرجاء الأرض بعلمهم! وأن القلة من الآخرين هم الغرباء^(٢) بتقواهم، وَسَطَ قُوَى مُنَاوِئَةٍ^(٣)، وخصومات مؤذية..

أما الرسل السابقون فقد كانت رسالاتهم مؤقتةً ومحدودة، تمت في أعصار^(٤) قليلة ومدن معدودة.

ونحن نحترم أصحاب سيدنا موسى المؤمنين بتوراته، وأصحاب سيدنا عيسى المؤمنين بإنجيله، وأين هم من قرون طِوال؟! اختفوا واختفت هداياتهم، وحل مكانهم من لا صلة له بالسما.

وَنَلْحَظُ أن أولى أوصافِ السابقين، أو أولى الميزات التي يربحونها هي القرب من الله سبحانه، أو هو الرِّضْوَانُ الأكبر؛ ولذلك قيل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾^(١٠) **أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴿١١﴾ **فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ** ﴿١٢﴾، فلتأمل في حال أولئك الذين سكنوا في بلاد الأفراح.

إن الإيمان بالغيب [ما أخبر به الله تعالى مما لا نشاهده] الذي عرفوه في الدنيا أضحى إيمانَ شُهودٍ^(٥)! وعظمة الله التي صدَّقوا بها نظرياً في الأيام الخالية رأوها مُعَايِنَةً^(٦) في هذه الأيام!

١- سلفنا الصالح: قومنا الصالحون السابقون قبلنا.

٢- الغرباء: جمع غريب، وهو غير المألوف.

٣- مناوئة: مضادة، معارضة.

٤- أعصار: جمع عصر، وهو المدة من الزمن.

٥- شهود: مشاهدة حقيقية ملموسة.

٦- معاينة: أي برؤية العين.

وفي الآية: ﴿ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَازِرُهُ
 دَعَوْهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠]، إنهم يشاركون
 الملائكة في استدامة^(١) التسييح دون شعور بكلفة^(٢)، ﴿ يُسَيِّحُونَ آيَاتَ
 وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾^(٣) [الأنبياء: ٢٠].

وإذا كان في القوم من قام بالقرآن في الدنيا وعاش له يحميه ويتلوه
 وَيُبَلِّغُهُ = فإنه يقال له ما جاء في الحديث الشريف: «يُقَالُ لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ وَارْقُ، وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا». [رواه ابو داود والترمذي].
 نعم، لقد أضحى مع السَّفَرَةِ، الكِرَامِ الْبَرَّةِ^(٤)، بهذه المهارة وتلك
 الإمامة^(٥).

إن أهل الجنة يجلو في مذاقهم ترديد الباقيات الصالحات؛ فهم
 يهتفون بها عن حُبٍّ ورغبة، ولعلها وُسِّمَتْ^(٦) بالبقاء والصلاح لأنها تعلق
 على الفناء^(٧)، وكيف تفنى هذه الشعارات: سبحان الله، والحمد لله، ولا
 إله إلا الله، والله أكبر؟! كانت في الدنيا قواعد لسلوك المؤمن، ثم أضحت

١ - استدامة: استمرار.

٢ - كلفة: مشقة.

٣ - يفترون: من الفتور، وهو الهدوء، والمعنى: لا يتوقفون عن التسييح.

٤ - السفرة الكرام البررة: هم الملائكة.

٥ - الإمامة: الزعامة والرئاسة.

٦ - وسمت: جعل لها علامة تُعرف بها.

٧ - الفناء: الموت والعدم.

في الآخرة شارة^(١) أهل النعيم، ماذا فعل غيرهم؟ استرخى فحُجِب^(٢).

وقد قيل: إن الأحجار في طريق الكسالى عوائق، وفي طريق الناشطين سلام، الأولون ينكصون^(٣)، والآخرون يصعدون! ومن ثمَّ قيل في وصف الجزاء المعد للمقرَّبين: ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤)، والكريم إذا وفدَ عليه ضيوفٌ أكرم نزلهم^(٥)، وأجزَلَ عطاءهم، فأين كان أهل الجنة ينزلون بعد عودتهم إلى الله؟ إن أقل ما يُقدَّم لهم هو أعلى وأغلى ما كان ملوك الأرض يتمتَّعون به!

ونحن نعلم أن في الجنة ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ونعلم أن الأسماء التي تُطلق على ما في الجنة هي عناوينُ تَقْرِيبيَّةٌ، وأنَّ ذِكْرَهَا صَرْبٌ من التشويق للعاملين في الدنيا، والأمرُ فوق ما نتصوَّر.

المهمُّ أن أهل الجنتين - مع ما يتقلَّبون فيه من نَعْماء - ليسوا أهل بَطالة وحمُول؛ إنهم يُلهَمون^(٥) الذِّكْر والشُّكْر. ولا ريب أنهم سعداء بتكريم الله لهم، ولكنهم أسعدُ بما أُتيح لهم من تحية الله ليلاً ونهاراً، ومناجاته سرّاً وجهراً.

١ - شارة: علامة.

٢ - حُجِب: مُنِع من ذلك العطاء.

٣ - ينكصون: يرجعون إلى الخلف.

٤ - نزلهم: ضيافتهم وإكرامهم.

٥ - يلهمون: يُلقِي اللهُ في نفوسهم.

ونشرح بعض الكلمات التي لا نألفها، والتي وردت في وصف

الجنان:

فالسُّرُّرُ المَوْضُونَةُ: هي المصفورة من المعادن النفيسة. ﴿مُتَكَبِّينَ
عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ﴾ (١٦)، أي: لهم مجالسٌ مُؤَنَسَةٌ يواجه بعضهم بعضاً
فيها. ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (١٧): يخدمهم فتيةٌ يَبْقَوْنَ ما حَيُّوا في سِنِّ
الشباب! ومع كثرة الشراب في الجنة من لبنٍ وعسلٍ وماءٍ وخمرٍ... فإن
الخمر المَعْنِيَّةُ خمرَةٌ أباحها اللهُ، لا تصيب شاربها بالصداع ولا الدُّوار، ﴿لَا
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (١٩): النَّزْفُ هو الهذيان واختلاط العقل.

من العلامات البارزة للجنة: الحُورُ العِينُ، والحور العين هنَّ بناتُ
آدم بعد صَوْغِهِنَّ^(١) في قوالبٍ أخرى تجعل العجائزَ شَوَابَّ^(٢)، والدميمة^(٣)
وسيمة! أو هنَّ خُلِقَ آخرُ يُدْعُهُ اللهُ في صورِ فتياتٍ ساحراتِ العيون.

ولن تكون لأبناء سيدنا آدمَ فَضَلَاتٌ، وسيلتئم^(٤) شَمْلُ الأُسرةِ
المؤمننة على الحب والرضا، مِصْدَاقٌ قولِهِ تَعَالَى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ
صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَّمَ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ^(٥) ﴿٢٤﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

١- صوغهن: تكوينهنَّ.

٢- شواب: جمع شابة.

٣- الدميمة: القبيحة.

٤- يلتئم: يجتمع.

٥- عُقْبَى الدَّارِ: آخر وخاتمة الإقامة.

والواقع أن الجسم الإنساني - على روعة إبداعه - له عوارض^(١) مُحرجة ومزعجة، ولا يتمُّ النعيمُ إلا بتعديل أجهزته^(٢) على نحو أسمى وأنظف وأقوى وأجمل، وربما كان خَلْقُهُ على ما نُحِسُّ بعضَ الامتحان^(٣) الذي فُرِضَ علينا في هذه الدنيا.

ولا توجد في القرآن سورةٌ تستوعب^(٤) كلَّ الأجزئية^(٥) الحسنة المُعدَّة للمُتقين، وإنما تُعرِّضُ مناظرًا، أو تُلتقطُ صورًا لجوانبَ من النعيم تُناسب كلَّ سورة، وتشرح صدور القارئ بما تُثير من أشواقٍ وتفتح من آمال.

وفي هذه السورة رأينا لونا من النعيم المُعدَّ للسابقين، ولأصحاب اليمين، وهم أكثر عددًا من الصنف الأول ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾، ولبيان بعضِ الكلمات التي وردت في ثوابهم تُظهِرُ صنوفَ النعيم: فالسُّدرُ شجرٌ يُثمِرُ النَّبَقَ! وَيَنْبُتُ مع كثرة الماء، ولعل ذلك سِرُّ نَفَاسَتِهِ^(٦) في الصحراء، مع نكهته اللطيفة، ويصحبه دائماً شوكٌ قد يُخدش، لكنه في الجنة مُحضودٌ، أي: لا شوكَ فيه!

أما الطَّلْحُ المَنْضُودُ فهو الموزُ المَنْسَقُ المَرْكُومُ^(٧) في نظام، وقيل:

١- عوارض: مظاهر وردود أفعال.

٢- أجهزته: أعضاء الجسم البشري.

٣- الامتحان: الاختبار والابتلاء.

٤- تستوعب: تسع وتشمل.

٥- الأجزئية: جمع جزاء، وهو هنا: المكافأة.

٦- نفاسته: نُذْرَتِهِ.

٧- المركوم: المجموع بعضه على بعض.

ثمَّ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْغَرْبِ وَغَيْرُهُمْ، وَالظَّلُّ الْمَمْدُودُ: هُوَ الَّذِي لَا يَتَقَلَّصُ
 مَعَ وَقْدَةِ^(١) الشَّمْسِ، ﴿أَكُلُهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ أَنْتَقَوْا﴾
 [الرعد: ٣٥]، والماء المسكوب هو ما يجري تحت القصور في الجنة، أو ما تدفعه
 النافورات إلى أعلى.

ولما كانت الفواكه في الأرض موسميَّة تَظْهَرُ فِي بَعْضِ الشُّهُورِ وَتُخْفَى
 بِقِيَّةِ الْعَامِ = وَصِفَتْ فَاكِهَةُ الْجَنَّةِ بِأَنَّهَا ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(٣٣).

وَالْعَرُوبُ هِيَ الْمَرْأَةُ الْمُتَوَدِّدَةُ إِلَى زَوْجِهَا، الْمُقْبِلَةُ عَلَيْهِ! وَالْجَمْعُ:
 عُرَبٌ. وَسِوَاءُ أَكَنَّ مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا بَعْدَ صِيَاغَتِهَا الْجَدِيدَةِ، أَوْ مِنَ الْخُورِ
 الْمُنْشَأَاتِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، فَهِنَّ مُتَقَارِبَاتُ الْأَعْمَارِ، وَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿عَرَبًا أَتْرَابًا﴾^(٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ^(٣٨).

وَالكَلَامُ كُلُّهُ - فِيمَا نَرَى - مِنَ الْبُشْرِيَّاتِ^(٢) لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، فَالسَّابِقُونَ قِلَّةٌ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ، وَلَكِنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَخْلَافِ^(٣) كَبِيرَةٍ..
 وَيَجُوزُ غَيْرُ ذَلِكَ.

ثُمَّ يَنْتَقِلُ السِّيَاقُ إِلَى أَصْحَابِ الْمَشْأَمَةِ^(٤)، أَوْ أَصْحَابِ الشَّمَالِ، وَهُمْ
 جَمْهُورُ الْمَلَاكِحَةِ وَالْفَسَقَةِ وَالْمَكْذِبِينَ مِمَّنْ شَاقُّوا^(٥) الرُّسُلَ، وَعَادُوا الدِّينَ

١- وقدة: حرارتها.

٢- البشريات: ما يبشر به من المسرات.

٣- الأخلاف: المتأخرون اللاحقون.

٤- المشأمة: من الشؤم، وهو المكروه.

٥- شاقوا: عادوا.

كله، ورَضُوا بالحياة الدنيا، واطْمَأَنُّوا بها، وسَخِرُوا مِمَّا وَّرَاءَهَا، ولم يعرفوا في دنياهم إلا مآربهم^(١).

وقد استُخدمت مصطلحات في صفة العذاب ﴿ **فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ** ﴾، هي تلك الريح اللافة بحرارتها، من السَّم؛ لشدة أذاها، وحميم: ذلك الماء الساخن الذي يَغلي فيها.

﴿ **وظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ** ﴾^(٤٣)، وهو دخان كثيف أسود لا قيمة لظله؛ ولذلك جاء في موضع آخر: ﴿ **أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلَدٍ شَعْبٍ** ﴾^(٢) ﴿ **٣٠** ﴾ لَا ظِلِّيلٍ وَلَا يُعْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾^(٣١) [المرسلات]، وهو من الحَمَم، أي: الفحم وكلُّ ما احترق من النار، وبِمَ استحق أصحابُ الشمال هذا العذاب؟ بأنهم لم يتقوا الله في الدنيا بعملٍ صالحٍ، بل هم لم يؤمنوا به أصلاً، وكانت معيشتهم على ظهر الأرض تَشَبَّعًا من اللذاتِ المتاحة، أو جرياً وراءها، سواء أُوْجِدَتْ أمْ لَمْ تُوجَدْ.

وقد وصفَ اللهُ معيشةَ الكافرِ في الدنيا وأنحصاره^(٣) فيها وَحَدَهَا فقال: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فِي آهْلِهِ مَسْرُورًا** ﴾^(١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَمُورَ^(٤) ﴿ **١٤** ﴾ [الانشقاق: ١٣-١٤]، ﴿ **بَلَى إِنْ رَّبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا** ﴾^(١٥) [الانشقاق]، والكافرون

١- مآربهم: حاجاتهم.

٢- شَعْبٍ: فِرْقٍ وطرقٍ.

٣- انحصاره: الإقبال عليها والتفرُّغ لها.

٤- يَمُورُ: يرجع إلى ربِّه.

يَبْنُونَ حَيَاتِهِمْ عَلَى الْآبَعَثِ^(١)! وهذا الفِكرُ يَكادُ يَطْوِي^(٢) الْآنَ الْمَشَارِقَ
وَالْمَغَارِبَ، وهو أساسُ الْإِيغَالِ^(٣) فِي الْمَعَاصِي وَالْإِنْكِبَابِ^(٤) عَلَيْهَا، دون
شعورٍ بِقُبْحِهَا أو نَدَمٍ عَلَى اقْتِرَافِهَا^(٥)..

وذلك هو الْحِنْتُ الْعَظِيمُ، أي: المعصية الفادحة التي عنها النَّظْمُ^(٦)
الكرِيمُ فِي الْآيَاتِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ
الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾^(٧) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيَّدَا مَتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلَمًا إِيَّا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾
أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ
يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾، ويعود الكلامُ مرَّةً أُخرى إلى وصفِ ما يُلاقِيهِ الْمَلَا حِدَةُ
مِن عَذَابٍ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿٥٢﴾﴾،
وَالزُّقُومُ: طَعَامٌ مَّرِيرٌ قَبِيحٌ - أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهُ - إِذَا أَكَلَهُ صَاحِبُهُ احْتِجَاجًا إِلَى
الْمَاءِ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا مَاءً يَغْلِي ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [مُحَمَّد]،
وَمَعَ أَثَرِهِ الْفَظِيعِ فَإِنَّ أَكْلَ الزُّقُومِ يَتَطَلَّبُ الْمَزِيدَ مِنَ الشَّرَابِ لِمَا يُحِشُّهُ مِنَ
عَطَشٍ! فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الْأَهِيمِ^(٨) الْمُصَابِ فِي أَمْعَائِهِ بِحُمَّى تَحْمِلُهُ عَلَى طَلَبِ
الْمَاءِ بِنَهْمٍ^(٩) لَا يَنْقُضِي.

١- البعث: إحياء الأموات يوم القيامة.

٢- يطوي: يقطع البلاد ويجاوزها.

٣- الإيغال: المبالغة في الدخول في الشيء.

٤- الانكباب: الإقبال على الشيء والانشغال به.

٥- اقترافها: فعلها.

٦- النظم: التأليف والترتيب المنهجي.

٧- الْحِنْتُ الْعَظِيمُ: هو الكفر بالله أو يقيمون الشرك به.

٨- الأهيم: شديد العطش.

٩- نهم: شراهة وإفراط.

وقد وُصِفَ أهلُ النارِ بأنهم يملؤونُ بطونهم من الزقوم، ثم يبحثون عن الماءِ بَحْثَ الإبلِ الهيمِ عَمَّا يرونها، وهيئات! ﴿هَذَا نَزْنُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٥٦).

وَصُورُ الثوابِ والعقابِ كُلُّها سَيَقَتْ للترغيبِ والترهيبِ، ودَعْمِ تربيةِ سَلِيمَةٍ، لاسيما في هذا العصر الذي تظافر^(١٠) فيه العلمُ والفنُ والإعلامُ الهازل^(١١) والجادُّ على تجهيل^(١٢) الناسِ بالآخرة، وصرْفِهِم عن العملِ لها.

وإيقاظُ مَشاعِرِ الرغبةِ والرَّهبةِ لا يكفي! بل لابدَّ من إيقاظِ العقلِ الإنساني ليُفَكِّرَ ويُصدِّقَ ويتصرفَ بروية^(١٣).

الدليلُ الرابعُ: الذي ورد في سورة الواقعة على أن البعثُ حقٌّ = نَجْدُهُ في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) **أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ** (١٤) **أَمْ تَحْنُ الْمُزْنُونَ** (٦٩) **لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا** (١٥) **فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ** (٧٠).

إِنَّ الْمَاءَ أَصْلُ الْحَيَاةِ وَأَسَاسُ بَقَائِهَا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠) [الأنبياء]، وَيَكُونُ الْمَاءُ أَرْبَعِ أَمْخَاسِ الْأَرْضِ، وله دورةٌ تستحقُّ التأمُّلَ العميقَ! فَإِنَّ الرِّيحَ تَسُوقُ (١٦) السُّحْبَ مثلاً من المحيطِ

١٠- تظافر: اجتمع وتعاون.

١١- الهازل: الغير جاد، والمازح.

١٢- تجهيل: إيقاع في الجهل.

١٣- بروية: تمهل وبُعدِ نظر.

١٤- الْمُزْنُ: السحاب ذو الماء.

١٥- أُجَاجًا: مالحاً لا يمكن شربه.

١٦- تسوق: تُسَيِّر.

الهندي لتسقط على أرضنا ودوآبنا^(١)، ثم يذهب الماء المستعمل إلى مصارفه ومجاربه ويأخذ سُبُلًا لا ندرىها ليعود إلى البحار والمحيطات مُكْمِلًا دورةً ومُبتدئًا دورةً أخرى لا يزيد ولا ينقص! قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (١٨) ﴿[المؤمنون]، نَعَمْ.. الذي أوجده قادرٌ على الذهاب به!.

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٠)، إِنَّ المشيئة العُلَيَا وَحَدَهَا مَرْجِعُ الإيجاد والإفناء^(٢)، والماء - وهو الوسيط الطبيعي للحياة هنا وللحياة بعد الموت - عنصرٌ طُيعَ^(٣) لهذه المشيئة المطلقة.

وعُدوبةُ الماء تتمُّ في الجوِّ، بين تفاعلات كهربائية تحدّث عنها علماء الطبيعة، يُشرفُ عليها الله وَحْدَهُ.

الدليل الخامس: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٧١) ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ (٧٢) ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَّعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ (٧٣) .

هذا دليل - كما أرى - يكشفُ عنه العِلْمُ الحديث؛ فنحن عندما نتنفس نأخذ الأوكسيجن ونطرد ثاني أوكسيد الكربون، وعكس ذلك يفعل النبات، فهو في تنفسه يأخذ الكربون ويدع الأوكسجين، والكربون

١- دوآبنا: كل ما يدب على الأرض، وقد غلب على ما يُركَّب من الحيوان.

٢- الإفناء: تقيض الإبقاء.

٣- طُيع: شكّل وصوّر.

٤- تُورُونَ: تشعلون وتوقدون.

٥- المقوين: المسافرين أو المستمتعين بها.

هو الفحم! وعجيب أن تكون الخضرة مخزناً للوقود، وأن يكون رفيف^(١) الحياة ستاراً لأسباب الاحتراق والتلاشي^(٢). إن الشجر في جذوعه وفروعه وأوراقه الخضراء لا يلبث أن يجف ويتحول إلى هشيم^(٣) تتأجج به النار! وهكذا نرى الموت في تضاعيف^(٤) الحياة.

إن خواص المادة - مفردة كانت أو مركبة - لا تزال موضوع الدراسة والاستفادة، والمركب الكيماوي قد تظهر له صفات مضادة للمفردات التي تألف منها، فالماء مثلاً نشره لنتوي به ونذهب عطشنا! على حين نرى عنصريه اللذين تكوّن منها أقرب إلى الإحراق منهما إلى الإرواء^(٥)!

نحن بُبِصِرُ في الحداثق والحقول آياتِ النضارة والنساء، ولا بُبِصِرُ ما يتمُّ بعد قليل من مظاهر التلاشي والاحتراق، وكذلك تتعاقب^(٦) الأضداد، وما أيسر ذلك على القدرة الإلهية ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران].

والأخشاب والأحطاب التي تتحول إلى تراب يتحوّلُ ترابها مرةً أخرى إلى سَمَادٍ لأنواع النبات، كما يتحول النبات الذي نطعمه إلى خلايا حية في أجسامنا!

١- رفيف: خصوبة.

٢- التلاشي: الفناء.

٣- هشيم: يابس.

٤- التضاعيف: الأحوال.

٥- الإرواء: السقيا إلى الإشباع.

٦- تتعاقب: تتوالى على مر العصور.

والواقع أن الإنسانية كلها أمام مواعدين: أحدهما قريبٌ متعجِّلٌ،
والآخر مُتَرَاخٍ^(١) متمهِّلٌ^(٢). إنها أمام الموت الذي لا يطول غيابُه، ولا بد
لكل امرئ أن يذوقه، ثم هي أمام الساعة التي لا بد منها وإن طالَت
الأيام، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا^(٣) وَأَجَلٌ مُّسَمًّى^(٤) عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ^(٥)﴾ [الأنعام: ٢]، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ
لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ أَلَمِعَادَ^(٦)﴾ [آل عمران: ٩].

والتكرار المتعمد لذكر القيامة ليس تهديداً للحضارات أو وقفاً
للعمران البشريّ - كما فهم القاصرون -! وإنما هو لكسر الغرور ومنع
التطلُّعات الطائشة^(٦).

والبشر ما زالوا بحاجة مُلِحَّةٍ إلى تذكُّر يوم القيامة، فإن هذا التذكُّر
يهذِّب غرائزهم، ويكفِّف^(٧) أطماعهم. والعقل العادي إذا علم أن هذا
اليوم حقٌّ لم يُؤثِّر^(٨) قليلاً على كثير، ولا فانياً^(٩) على باقٍ، ولم يزهْد^(١٠) في
جزاء الآخرة كما هو مسلكُ الحضارة المعاصرة!

١- متراخ: غير مستعجل.

٢- متمهِّل: بطيء غير مستعجل.

٣- قَضَىٰ أَجَلًا: بلغ الأجل (العمر) الذي حدده له.

٤- وَأَجَلٌ مُّسَمًّى: وقت وفاة الإنسان.

٥- تَمْتَرُونَ: تشكون في أمر يوم القيامة.

٦- التطلُّعات الطائشة: التمنيات الهوجاء بلا هدف.

٧- يكفِّف: يصرف ويمنع.

٨- يؤثِّر: يفصِّل ويختار.

٩- فانياً: زائلاً.

١٠- يزهْد: هنا: يهمل.

إن العلم الحديث ربما نجح في استكشاف بعض أسرار المادة وقوى الكون، فما دلالة ذلك وما جدواه؟ إنه لا يلغي حكمة الوجود، ولا رسالة الأحياء على ظهر الأرض، تلك الرسالة التي لخصها القرآن الكريم في هذه الكلمات: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، بل إن ميدان الاختبار الإلهي يتسع ويعمق بقدر ما انفتح على الإنسان من إمكانات مادية وأدبية.

وقد خُتِمت سورة الواقعة بلونٍ من التحدي تحسناً^(١) أمامه الخلائق: هل يستطيع أحد الإفلات من الجزاء الحتم^(٢)؟ هل يقدر البشر -مهما سند بعضهم بعضاً- على أن يدفعوا^(٣) الموت، وينقذوا منه قريباً أو صديقاً؟ ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾

لن ترجع نفس إلى الدنيا بعدما استوفت^(٤) الأجل المكتوب^(٥) لها، بل سينقسم البشر زُمراً وفصائل حسب ما قَدَّموا لآخرتهم، ويتوزعون على الدرجات التي اكتسبوها^(٦).

١- تحسناً: تضعف، وتقال في التوبيخ.

٢- الحتم: اللازم والواجب.

٣- يدفعوا: يبعدوا ويردوا.

٤- استوفت: استكملت.

٥- الأجل المكتوب: الوقت المقدر من الله تعالى الذي تنقطع عنده الحياة.

٦- اكتسبوها: اجتهدوا من أجلها وربحوا ما حصلوا عليه في النهاية.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا
 إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾، إنها تحية
 الملائكة للناجين الناجحين في معركة الحياة، تستقبلهم لتكون بشرى سارة
 يوم عودتهم إلى الله.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزَلُ مِنَ جَحِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ
 جَحِيمٍ﴾، هؤلاء أصحاب الشمال والمصير الأسود.

هكذا صدق آخر السورة أولها، ولخص مجملها، فهل يعي الناس ما
 يستقبلون من هذه المصاير؟^(١) سواء وعوا أم ذهلوا^(٢)، فلن يتغير الواقع
 ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

سبحان ربي العظيم

١- المصاير: جمع مصير.

٢- ذهلوا: احتاروا حيرة شديدة.



من خواطر ومحاضرات لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسير سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق
الوعد الأمين..

سورة الواقعة تبدأ بقوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١).

كلمة (إذا) في اللغة نفيده تحقق الوقوع، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ
نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١) [سورة النصر]، وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) [سورة الانفطار].

أمّا كلمة (إن) فتأتي بمعنى احتمال الوقوع، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْهُ فَاسِقُ بَنِي فَتَيَّنُوا﴾ [سورة الحجرات: ٦]، فقد يأتي، وقد لا يأتي.

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١) لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ (٢).

الشيء الذي يُخبرُ الله به يجبُ أن نُعدّه واقِعاً^(١)، وإن لم يقع بعدُ..
أيّ دولةٍ محترمةٍ إذا أعطت عهداً فإنها لا تنقضه^(٢)، وأيُّ إنسانٍ محترمٍ
إذا وعدَ وعداً فإنه لا يُخلفه^(٣)، فكيف بخالق الكون سبحانه؟

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١).

١- واقِعاً: حاصلاً.

٢- تنقضه: تبطله أو تفسده.

٣- يُخلفه: من خُلف الوعد: عدم الوفاء به.

لو أن جماعةً حضرُوا مسرحيةً في فصلها الأول، فقُتِل في التمثيل شخصٌ، ثم أرخى الستارُ، لا أحدٌ يقوم من مقعده، لماذا؟ لم تنتهِ المسرحية بعدُ، نريدُ أن نرى الفصلَ الثاني، ماذا حلَّ بالقاتل؟ وهذا المقتولُ ماذا فعلَ أهلهُ؟

الدنيا فيها إنسانٌ قويٌّ طاغٍ جبارٌ، وإنسانٌ ضعيفٌ، إنسانٌ بعمرٍ تسعين سنةً بكاملِ صحته، وآخرٌ في سنِّ الثامنة والثلاثين يموت! أعمارٌ مختلفةٌ، والصحةُ مختلفةٌ، والمالُ مختلفٌ، والقوةُ مختلفةٌ... هذه الخطُوط كيف وُزِّعَتْ؟!

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ بَدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [سورة يونس: ٤]، ﴿لِنُجِزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَى﴾ ﴿١٥﴾ [سورة طه].

فهذه الواقعة التي هي يومُ القيامة يؤكِّدها المنطقُ^(١)، والفترة السليمة، إنسانٌ ظالمٌ، آكلٌ مالِ أيتام... لا يرتاحُ المظلومُ حتى يرى عدالةَ الله في ظالمه، وبالتالي: ﴿لَيْسَ لَوْعَنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ ﴿٢﴾.

وهي: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ ﴿٣﴾.

في المدرسة -مثلاً- معلِّمٌ وكيِّلٌ، ومعلِّمٌ أصيِّلٌ، ومُدبِّرٌ... هي مراتبُ^(٢) في الدنيا، أمَّا في الآخرة فقد يكون المعلِّمُ الوكيِّلُ هو الأوَّلُ رتبةً، ورُبُّ غنيٍّ حُشِرَ^(٣) فقيرًا، ورُبُّ قويٍّ حُشِرَ ضعيفًا، ورُبُّ مُتَجَبِّرٍ حُشِرَ

١- المنطق: الفلسفة التي تتوافق مع العقل ليكون قادرًا على التمييز بين الخطأ والصواب.

٢- مراتب: جمع مرتبة وهي المكانة، المنزلة.

٣- حُشِرَ: بعث يوم القيامة مع الجمع.

ذليلاً، ورُبَّ مُسْتَضْعَفٍ^(١) حُشِرَ مَلِكًا... هي الآخرة، لها ترتيبٌ آخَرُ، ولها مقياسٌ آخَرُ، نحن في حياتنا الدنيا لنا مَقاييسُ نتمايز بها فيما بيننا، مقياسُ المال، مقياسُ العلم، هذا دكتورٌ، هذا أُمِّي^(٢)... مقياسُ كثيرةٌ، أمَّا في الآخرة هناك مقياسٌ واحدٌ، هو مَدَى طاعتِكَ اللهُ، مِنْ هُنَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ^(٣) مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ^(٤)». [أخرجه الحاكم والترمذي]. ومعنى: (أشعث أغبر): غَيْرُ مُهْتَمٍّ بِشَعْرِهِ، (مدفوع بالأبواب): ليس له قيمة عند الناس.

فالإنسان يُحَاسَبُ فِي الآخِرَةِ عَلَى قَدْرِ طَاعَةِ اللَّهِ وَخِدْمَةِ الْعِبَادِ، فَالَّذِي بَنَى مَجْدَهُ عَلَى ذُلِّ النَّاسِ لَهُ حِسَابٌ خَاصٌّ، وَالَّذِي بَنَى غِنَاهُ عَلَى إِفْقَارِهِمْ لَهُ حِسَابٌ خَاصٌّ، أَمَا الَّذِي كَانَ مِعْطَاءً^(٥) فَلَهُ حِسَابٌ آخَرٌ.. إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَقَامَكَ^(٦) فَانظُرْ فِيْمَ اسْتَعْمَلَكَ، كُلُّ إِنْسَانٍ يَجِبُ أَنْ يَطْرَحَ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا السُّؤَالَ: مَا حَقِيقَةُ عَمَلِي؟ هَلْ هُوَ عَمَلٌ قَائِمٌ عَلَى الْكُذْبِ وَالْغِشِّ وَالْإِحْتِيَالِ؟ أَمْ عَلَى إِيقَاعِ الْأَذَى بِالنَّاسِ؟ فَكُلُّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَعْمَلُهَا النَّاسُ، وَالَّتِي بُنِيَتْ عَلَى إِيْدَاءِ الْآخِرِينَ، سَوْفَ تَكُونُ عَلَيْهِمْ وَبَالًا^(٧) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالْعِبْرَةُ أَنْ تَسْأَلَ نَفْسَكَ هَذَا السُّؤَالَ..

١ - مستضعف: مقهور.

٢ - أمي: لا يقرأ ولا يكتب.

٣ - ذي طمرين: أي: ذي ثوبين باليين.

٤ - لأبره: أجاب الله دعاءه وسؤله.

٥ - معطاء: الكثير العطاء.

٦ - مقامك: مكانك عند الله.

٧ - وبالاً: سيئة العاقبة.

إذا وقعت الواقعة سوف تُزلزل الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ
الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ١ ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ٢ ﴿[سورة الزلزلة]، وقال
أيضًا في هذه السورة (الواقعة):

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ ٤ ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ٥ ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً
مُنبَثًا﴾ ٦ .

عند كَسْرِ الغرفة وأشعة الشمس داخلته إلى وسط الغرفة، نرى
ذرات عالقة في الأشعة، هذا هو (الهباء)، هكذا ستكون الجبال يوم القيامة!

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ٧ ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ٨
﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ٩ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ١٠ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾
﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ١٢ .

معناها أن ثمة أصنافًا ثلاثة من الناس، أصحاب الشمال إلى النار،
وأصحاب اليمين والسابقون (المقربون) إلى الجنة، فهناك راسب^(١)،
وهناك ناجح مقبول، وهناك ناجح شرف.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ ١٣ .

ثلة: أي هم كثيرون.

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ١٤ .

عدد المتفوقين عند الله من الآخرين قليل.. فكيف تكون حالهم في
الآخرة؟

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ ١٥ ﴿مُتَّكِعِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِيبِينَ﴾ ١٦ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ

مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾
 وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَمَحِرَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ
 اللَّوْلُوبِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِمَا ﴿٢٥﴾
 إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ❖

الصَّنْفُ الأول: أصحاب أعلى درجة في الجنة، السابقون السابقون، وهم الذين باعوا أنفسهم، وأموالهم، ووقتهم، وعلمهم، وجهدهم... باعوه لله عز وجل، هؤلاء الذين صاحبوا رسول الله ﷺ، فدَّوَهُ بِالْغَالِي، والنفس، والنَّفِيس^(١)، هؤلاء ليس لهم في الدنيا هم إلا طاعة الله، هؤلاء الذين أعطوا كل شيء لا يأخذوا شيئاً، هؤلاء في درجة عالية عند الله عز وجل.

الصنف الثاني: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهْهَ كَثِيرٍ ﴿٣٢﴾
 لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَاهُمْ
 أَجْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ❖

الذين توسَّعوا في المباحات^(٢)، والتزموا المنهج، لكن ساعة لهم، وساعة لربهم، لهم حظوظ في الدنيا، لكنها مباحة، يصلُّون، يصومون، يحجُّون... أمورهم كلها طبقاً للشريعة، لكنهم لم يبذلوا جهداً كبيراً في التطبيق، أو هم الذين أذنبوا ثم تابوا توبةً نصوحاً..

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ❖

١- النفيس: عظيم القيمة.

٢- توسعوا في المباحات: الإكثار من عمل ما استوى فعله وتركه واستسهلوا في استنباط الحلال.

فعدّد أصحابِ اليمينِ كثيرٌ قديماً، وكثير حديثاً.. أما المشكلة الكبيرة
فَهُمْ أصحاب الصنف الثالث.

الصنف الثالث:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَبَ الشِّمَالِ ۚ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِّنْ
يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

اقرن عند هؤلاء الترفُّ بالفجور^(١)، بإنفاق الأموال جُزافاً^(٢)،
بالبدخ، بالتبذير، بالعلوِّ في الأرض... هذه من صفات الكفار والمنافقين،
فكيف كانت أحوالهم؟

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾.

كانوا يُصِرُّونَ، ولا ينوون توبةً، والحنثُ العظيم هو الذنب العظيم،
وهو الكفر والشرك بالله، وقيل: اليمين الغموس^(٣).

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۗ أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾
أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

كانوا مُنْكَرِينَ لَبْعَثِ اللَّهِ خَلَقَهُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَفَنَائِهِمْ، ويقولون: أئنَّا
لمبعوثون أحياءٍ من قبورنا بعد مماتنا ومصيرنا تُرَابًا وَعِظْمًا نَحْرَةَ^{(٤)؟}!
يقول الله تعالى لهم:

١- الفجور: كباثر الذنوب والمعاصي.

٢- جزافاً: المتجاوز للحد.

٣- اليمين الغموس: الذي يتعمد صاحبها الحلف كاذباً.

٤- عظاماً نخرة: عظام متفتتة.

﴿ قُلْ إِيَّاكَ الْوَالِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَابُ الْمَضَالِكِ ﴿٥١﴾ لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَجَالِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شُرْبَ أَلْهِيمٍ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزْمٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

هذا كلام خطير؛ يجب أن تسأل نفسك: أنت مع مَنْ؟ هل أنت مع السابقين؟ السابقون لهم صفات، هل أنت مع أصحاب اليمين؟ أصحاب اليمين مطيعون لله عز وجل، ولكنهم توسَّعوا في المباحات، أما العصاة الجاحدون فهُمْ مع الصنف الثالث الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَفَمَن هَذَا الْحَدِيثِ تَعْبُجُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَصْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة النجم: ٥٩-٦٠]، والحديث هنا هو القرآن، والسامدون: اللاهون المعرضون المتكبرون.

فالمؤمن يجب أن يعرف أين هو من هؤلاء، إن كان مع أصحاب اليمين فهذا حَسَنٌ، ولكنَّ الأحسن أن يكون مع السابقين؛ في التعليم: الذي يطلب النجاح فقط لا ينجح، أما الذي يطلب التفوق فسينجح حتماً إن شاء الله.

نحن نقرأ هذه الآيات (٤٩-٥٦)، ونرى أن هؤلاء الناس انتهوا إلى النار، وهم في عذاب بئس^(١)، فهل نتفكر في الطريق إلى الله وكيفية الخلاص؟ جاء الجواب:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

أصل الدين معرفة الله، والدين فيه أصولٌ وفيه فروعٌ، ولا قيمة

١- بئس: شديد البؤس.

للفروع ما لم تكن الأصول.

أصل الدين أن تعرف الله، الحواس^(١) لا يمكن أن تدركه سبحانه
لمقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣] إذن لا بد من أن
نستخدم طريقة الاستدلال العقلي^(٢) لمعرفة الله.

أول ظاهرة كونية^(٣) هي وجودك:

معنى ذلك أن خلق الإنسان أحد أكبر الآيات الدالة على وجود الله
وعلى وحدانيته وعظمته وكماله سبحانه.

الله جل جلاله له آيات كونية^(٤) هي خلقه، وله آيات تكوينية^(٥) هي
أفعاله، وله آيات قرآنية هي كلامه.

ولذلك فثلث آيات القرآن الكريم آيات كونية (للاستدلال)^(٦)،
وأقرب آية إلى الإنسان: وجوده، ومن أي شيء خلق، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
مِمَّ خُلِقَ ۗ ٥ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ ٦﴾ [سورة الطارق]، لأم الأمر مع المضارع
أمر، أي: انظر كيف خلقت! خلقت من ماء مهين ضعيف، يخرج من بين

١- الحواس: وسائل الإدراك للتعرف على الأشياء.

٢- الاستدلال العقلي: تقرير الدليل للاثبات بواسطة العقل.

٣- ظاهرة كونية: كل شيء، يحدث في الكون خارج إرادة الإنسان لأنها بيد الخالق عز وجل.

٤- آيات كونية: العلامات أو المعجزات الطبيعية وهي خلق الله تعالى.

٥- آيات تكوينية: هي أفعال الله تعالى في مخلوقاته.

٦- الاستدلال: تقرير الدليل لإثبات المدلول.

الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ^(٢) بَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا^(٣)﴾ [سورة الإنسان]، فسبحان الله الخلاق العظيم.

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ^(٦٠)﴾

ما معنى كلمة (مسبوقين)؟ معنى هذه الكلمة أن الإنسان لا يمكن أن تكون له إرادة مُستقلَّة عن إرادة الله، كلُّ أفعالِ الإنسان بعِلْمِ الله وبمشيئته، وما لم يُسَمِّحِ اللهُ بفعلٍ فإنه لا يَقَعُ، وشيء آخر، قال تعالى:

﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٦١) وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ^(٦٢)﴾.

إذا أحبَّ الإنسان أن يعرف كيف نشأ فليَنظُرْ إلى ابنه، أَعَلِمَ الناسِ بالابن أبوه وأُمُّه، كيف تم الزواج.. وكان نقطة من ماء مهين.. حَوَيْن^(٣) لا يُرى بالعين، لَقَحَ بُوَيْضَةً لا تُرى بالعين، ثم صار إنسانًا سويًّا، له رأسٌ فيه دماغٌ، وفيه شعرٌ، وفيه عينان، وأذنان وأنفٌ، وشفَتان، وأسنان، ولسان، وَخَيْلٌ، وَتَصَوُّرٌ، وإدراكٌ واستنتاج، كل هذه العمليات المُعقَّدة تجري في موطنِ الذاكرة في رأس الإنسان، ما يزيد عن سبعين مليار صورة، والحجم لا يزيد عن حجم حبة العَدَسِ، هكذا الدماغ، ثم ننتقل إلى القلب والرئتين، والأوعية الدموية، والمعدة والأمعاء والكليتين، وجهاز فرز الفضلات، وإلى العظام والعضلات، وإلى بقية الأعضاء والأجهزة...

١- الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ: صلب الرجل وموضع القلادة من المرأة.

٢- نطفة أمشاج: اختلاط من ماء الرجل بهاء المرأة.

٣- حوين: الحيوان المنوي (ماء الرجل).

سنجدُ العَجَبَ العُجَاب!! سبحان الله تعالى، وبئس^(١) العبدُ عبدٌ سَهَا
ولَهَا^(٢)، ونسي المبتدئ والمتَّهِ^(٣).

الظاهرة الكونية الثانية: في النبات:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٦٣) ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(٦٤).

انظروا إلى شجرة مثمرة، كيف أزهرت؟ وكيف أورقت^(٤)؟ وكيف
حملت هذه الثمار الشهية؟!

هذه الثمار الشهية فيها طعامٌ سُكَّرِي، وفيها كالسيوم، وحديد،
وفوسفات، ومواد بروتينية، ومواد دهنية، وفيتامينات، لو حَلَّلْنَا الفواكه
لوجدنا العَجَبَ العُجَاب!

هذه الشجرة المصنوعة من خشب، كيف انتقلت المواد الأولية من
التربة؟

وكيف أُذْيِبَتْ هذه المواد في الماء؟ إذن رُبْنَا عز وجل أودع في
التُّربة أملاح المعادن، ولم يُودِعِ المعادن، لو أودع المعادن فإنها لن تذوب،
وهذا الماء كيف سار بطريقة معاكسة نحو الأعلى، على خلاف نظام
الجاذبية؟ كيف وصل هذا الماء إلى الورقة؟ وما الورقة؟

ظاهرة النبات ظاهرة تتصل بحياتك، طعمنا من النبات، قمحنا

١- بئس العبد: عبد مذموم.

٢- سها ولها: نسي وغفل وتسلّى، لعب.

٣- المبتدئ والمتَّهِ: بدايته من ماء مهين ونهايته إلى التراب.

٤- أورقت: ظهر ورقها.

من النبات، المحاصيل تنضج في يوم واحد، والخضراوات تنضج على مراحل... مَنْ صنعها؟ من صمّمها؟ مَنْ جعلها متوافقةً مع جسم الإنسان؟

﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُمْ ۖ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾

أنت ماذا فعلت؟ أودعت هذه الفسيلة^(١) في الأرض وانتهى الأمر، مَنْ كَوَّنَهَا؟ مَنْ نَمَّأَهَا؟ مَنْ جعلها تُورِق؟ مَنْ جعلها تُزْهِر؟ مَنْ جعلها تُثْمِر؟ أمسك حبة تين، فيها حوالي خمسة آلاف بذرة، كلُّ بذرة شجرة، وكلُّ شجرة كم حبة فيها؟ وكلُّ حبة فيها خمسة آلاف بذرة، سبحان الله العظيم.

تكاثر النبات شيءٌ عجيب، إنَّ خمسَ غرامات من بذور البندورة تعطي خمسة أطنان، يعني مليون ضعف، هذا عطاءُ الله، فما هو عطاؤكم؟

هناك نباتٌ للأدوية، كالبابونج والnardين، هناك نبات صناعي، كالفلين، والكاوتشوك، وهناك نبات زينة، وهناك نبات سياج، نباتٌ للرائحة... أنواع كثيرة لا يعلمها إلا الله.

لباسنا نباتٌ، القطن نباتٌ، الكتان نباتٌ، بعض الأصباغ من نبات، ولا يعلم سرّها أحد، وهي لا تتأثر لا بالشمس ولا بالحر.

هناك مائة نوع من الخشب، خشبٌ للأثاث، خشبٌ للنوافذ لا يتأثر بالماء والهواء، خشبٌ للصناعة كالكبريت، خشبٌ للمنظر... النبات هو

١- الفسيلة: جزء من النبات يفصل عنه ويغرس في التراب.

مَحْفَظَةٌ غِذَاءٍ^(١) الْإِنْسَانَ، هُنَاكَ قَمْحٌ اسْتُخْرِجَ مِنْ أَهْرَامَاتِ مِصْرَ، عَمْرُهُ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ وَلَا يَزَالُ حَيًّا!

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^(٦٥)

الشجرة إذا يبست ماذا نفعل بها؟ نقطعها، وتفقد قيمتها الحقيقية، فقيمتها الحقيقية تكمن في أوراقها، وأزهارها، وثمارها.

﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾^(٦٦) بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾^(٦٧)

الْعُرْمُ هُوَ الْعَذَابُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْغَرَامَةِ الَّتِي هِيَ ذَهَابُ مَالِ الْمَرْءِ وَأَخْذُهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَوَضٍ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ إِبْنَاتَ الزَّرْعِ ثُمَّ حِرْمَانِكُمْ مِنْهُ بَعْدَ طَمَعِكُمْ فِي الْإِنْتِفَاعِ بِهِ = مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

إِنَّ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ يَنْبَغِي أَلَّا تُعْطَلَّ، لَا يَنْبَغِي أَنْ نَقْرَأَهَا دُونَ أَنْ نَقِفَ عِنْدَهَا، دُونَ أَنْ نُنْفِذَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهَا.

الظاهرة الكونية الثالثة هي الماء:

هنا يقول الله عز وجل:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾^(٦٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾^(٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾^(٧٠)

هناك مساحاتٌ مُسَطَّحَاتٍ^(٢) مائيةٌ كبيرةٌ جدًّا في الأرض، مساحةٌ

١ - محفظة غذاء: الوسيلة التي يحفظ بها المأكول والمشرب.

٢ - مسطحات: جمع مسطح، مستوٍ منبسط.

البحار أربعة أخماسٍ اليابسة، ولولا هذه المساحة لما كانت كمية البخار تكفي لإرواء^(١) العطش في الأرض، أشعة الشمس مُسلطة^(٢) على هذه المسطحات، يتبخّر منها الماء ويصير بخاراً، مَنْ قَنَّ^(٣) ذلك؟ الهواء يحمل بخار الماء، وكلما ازدادت حرارة الهواء حمل بخار الماء بكمية أكبر، وهذا الهواء المحمّل ببخار الماء إذا واجه جهة^(٤) باردة يتخلّى عن بعض مائه، وهذه آية نزول المطر، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فُسُقِنَهُ﴾ [سورة فاطر: ٩]، أي: يُساق السحاب إلى مكانٍ آخر باردٍ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا﴾^(٥) [سورة النبا: ١٤]، آية المطر معقدة جداً، ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل: ٨٨]، أراد الله عز وجل أن نقف عند هذه الآيات، أن نفهمها وندقق فيها، ولو انعدم التبخر لصار الماء أجاجاً، مالحاً لا يصلح للشرب.. الحمد لله تعالى دائماً وأبداً.

الآن الحرب الأولى في العالم هي حرب ماء؛ لأنه المادة الأساس، وإذا قنن الله فهذا ليس تقنين عجز، بل هو تقنين تأديب، وفرق كبير بين تقنين العجز وتقنين التأديب، فحينما تشح الأمطار، ويتلف النبات، هذا تقنين تأديب طبعاً.

١- إرواء: السقي إلى الإشباع.

٢- مسلطة: تركيز الضوء.

٣- قَنَّ: وضع القوانين.

٤- جهة باردة: كتلة هوائية باردة.

٥- المعصرات: السحاب الممطر.

٦- ثجاجا: منصبا بكثرة.

الظاهرة الكونية الرابعة هي النار:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾

تصوّر لو أنّ النار التّغت من حياتنا، أولاً: كل الأدوات المعدنية التي نستخدمها في الصناعة إنّما صنّعت بواسطة النار، فلذات الحديد ترابّ، أُخرجت هذه الفلزات ووُضعت في أفرانٍ عالية الحرارة، صُهرت^(١)، واستُخلص منها الحديد، ومنها صنّعت كل أدوات الصناعة، هذا النسيج، هذه الثياب التي تلبسونها صنّعت بآلات، وهي من الحديد، ولولا النار لما كان حديد، نستطيع أن نعدّ النار سبباً لكلّ شيء تراه أعيننا.

(تورون): أي تشعلونها.

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة يس]، قد يعجب الإنسان! كيف يشتعل الشجر الأخضر؟!

قال العلماء: الورقة الخضراء هي المعمل، لولاها لما كان النبات، ومن أجل أن تعرف قيمة هذا الوقود السائل = تخيّل مركبةً وزنها طنين فيها خمس رُكّاب، في طريق صاعدة، كم رجلاً يستطيع أن يحرّكها نحو الأمام؟ بينما بالبنزين يدفعها هذا السائل الانفجاري نحو الأمام بوزنها، ورُكّابها، وأمتعتهم! الطائرة تزن مائة وخمسين طنّاً، وقودها بقدر وزنها، هذا الوقود تستهلكه في أربع عشرة ساعة، من أجل أن تحمل مائة وخمسين طنّاً من الرُّكّاب، مع الوقود، مع أمتعتهم، على ارتفاع أربعين ألف قدم،

١ - صهرت: ذابت.

مَنْ صَمَّمَ هَذَا الْوَقُودَ؟ تَفَكَّرْ وَتَدَبَّرْ! إِنَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ.

﴿أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ (٧٣)

سواءً أحيئتَ بقطع من الحطب فأحرقتها، أم جئتَ بالبترول فأحرقته، النتيجة واحدة؛ لأن هذا البترول أصله شجر، في العصور المطيرة^(١) نشأت غابات عملاقة، وبفعل الزلازل والبراكين دُفنت تحت الأرض، فكانت حُقُولَ النَّفْطِ.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً﴾ (٧٣)

لِمَ هِيَ تَذْكَرَةٌ؟ لَأَنَّهَا تُذَكَّرُ بِنَارِ جَهَنَّمَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْهَا، هَلْ نَقُوى عَلَى تَحْمُلِ النَّارِ؟ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّهُ قَرَأَ حَدِيثًا أَغْنَاهُ عَنْ أَرْبَعَةِ مِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ النَّارَ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَيْهَا، وَاعْمَلْ لِلْجَنَّةِ بِقَدْرِ مُقَامِكَ فِيهَا، وَاعْمَلْ لِلدُّنْيَا بِقَدْرِ بَقَائِكَ فِيهَا، وَاتَّقِ اللَّهَ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ» [رواه الشيبلي].

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ (٧٣)

(المقوين): أي المسافرين الذين يُشعلون النارَ ليتدفؤوا بها...

الناس يخرجون من جلودهم في درجة حرارة ٤٥، الشمس درجة حرارة سطحها ستة آلاف درجة، لو أن الأرض أُلقيت في جوف الشمس لتبخرت في ثانية واحدة، هذه نار الدنيا فكيف بنار الآخرة؟! فالإنسان قبل أن يعصي الله.. قبل أن يأكل المال الحرام.. قبل أن يملأ عينيه من الحرام..

١- المطيرة: كثيرة المطر.

قبل أن يكذب.. قبل أن يغتاب.. = لآياتِ بَشْمَعَةٍ مُشْتَعَلَةٍ، وَلِيَضَعُ إصْبَعَهُ عَلَيْهَا، هَذِهِ نَارُ الدُّنْيَا، وَهِيَ مَخْفَفَةٌ جَدًّا، مَخْفَفَةٌ مَلَايِينَ المَرَاتِ وَيُقَارَنُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَارِ الآخِرَةِ...

آيَاتِ خَلَقْنَا.. وآيَاتِ رَزَقْنَا.. وآيَاتِ المَاءِ.. وآيَاتِ النَارِ.. هَذِهِ أَسَاسِيَاتِ حَيَاتِنَا.

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ ﴾ (٧٤)

بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَتْ كَلَّ ذَلِكَ بَادِرُ إِلَى التَّسْبِيحِ، أَي: نَزَّهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَقَالَ: سَبِّحَانَ رَبِّي العَظِيمِ، فِي كَلِّ آنٍ وَحِينٍ.

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

جواب القسم: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسُهُ إِلَّا المُّطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

الحقائق الناصعة^(١) البديهيَّة^(٢) التي لا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن ينكرها لا تحتاج إلى قسم.

الظاهرة الكونية الخامسة هي النجوم:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ (٧٥)

المواقع لها معنيان: سرعة حركة هذه النجوم، أو المسافات البينية^(٣) بين النجوم.

١- الناصعة: الخالصة الصافية الواضحة.

٢- البديهية: قضايا مسلم بها لأنها واضحة ولا تحتاج إلى برهان أو دليل.

٣- البينية: على مد البصر.

المعنى الأول:

تَنْقُلُ هذه النجوم من موقع إلى موقع .. بعض الدراسات الفلكية تبين أن سرعة بعض المَجَرَّات^(١) تقرب من مائتين وأربعين ألف كيلو مترًا في الثانية، هذه مواقع النجوم، وتنقلات النجوم شيء عظيم.

المعنى الثاني:

المسافات، وهي ثلاثمائة ألف بليون سنة ضوئية، ما هذه المسافة؟!

﴿وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦)

يُطَبَعُ كُلُّ يومٍ - من الكتب باللغة الإنكليزية فقط - ما يحتاج الإنسان لقراءته إلى مائتي عام! كلُّ هذه الكتب في كِفَّة^(٢)، وهذا الكتاب (القرآن الكريم) في كِفَّة؛ لأنه كلام خالق الكون؛ فَضَّلَ كلام الله على كلام خَلْقِهِ كَفَضَلَ اللهُ تعالى على خَلْقِهِ.

جواب القسم: ﴿وَأِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) في كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾

حينما تُمْسِكُ هذا الكتابَ وتقرؤه يجب أن تعلم أن هذا كلام خالق الكون، وهو ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [سورة فصلت: ٤٢].

هذا الكتاب كريمٌ صافٍ، نقيٌّ من كلِّ شائبة^(٣)، معالجةٌ كاملة، موضوعات تامة، يناسب كلَّ إنسان في كل مكان وفي كل زمان.

١- المجرات: تجمعات هائلة الحجم تحتوي على مليارات النجوم.

٢- كفة: إحدى كفتي الميزان الذي يوزن به.

٣- شائبة: الشيء الغريب الذي يختلط بغيره.

هذا القرآن مكنون، أي: مُجَبَّبٌ لا يُعْطِيكَ ما فيه إلا إذا كنتَ مؤمناً، ثمَّ وَصَفَهُ فقال:

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٨)

(لا) نافية، يعني لا يمكن أن تضع يدك على معانيه ولا على أسرارهِ ولا على إعجازه إلا إذا كنتَ طاهرَ القلب، طاهرًا من الشُّرك، ومن الذُّنب، لذلك يقرؤه أهل الإيمان ف ﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [سورة الإسراء: ١٠٧]، ويكفون، ويزيدهم خشوعًا، أما أهل الكفر والشرك فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى﴾ [سورة فصلت: ٤٤].

فعلى قَدْرِ استقامتك، وعلى قَدْرِ طهارتك، وعلى قدر إخلاصك، وعلى قدر صفائك، وعلى قدر تَأَلُّقِك^(١) = تفهم كلام الله.

هذا، ولك أن تسمعه ولك أن تقرأه دون وضوء، أما إذا أردت أن تلمسه فينبغي أن تتوضأ؛ وذلك لجلال كلام الله عز وجل، والله أعلم.

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠)

أي: إن هذا القرآن مُنَزَّلٌ من رب العالمين سبحانه وتعالى؛ ولذا وجبَ تَقْدِيسُهُ وتعظيمُهُ.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَفْتِحُونَ﴾ (٨١)

ثُمَّ مَنْ يُجَاوِلُ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الْكِتَابَ يَمَنَّةً أَوْ يَسْرَةً، أَوْ يُخْفِي شَيْئًا

١ - تاللق: إحسانك وإجادتك للعمل.

منه بشيء آخر، أو يقول: هذا تفكير غيبي^(١) وهذه أمور لا نحتاجها اليوم، أو يجعل هذا الحق العظيم خرافة^(٢)!! أفبهذا الحديث (كلام رب العالمين) الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [سورة فصلت: ٤٢] = تُدهنون به أي: تشدونه إلى مصالحكم، من المداهنة^(٣).

﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾ (٨٢)

لك عند الله رزقٌ كبيرٌ، خَلَقَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيُسْعِدَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، خَلَقَكَ لِيَرْحَمَكَ، خَلَقَكَ لِحَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، ثَمَنُهَا أَنْ تَعْرِفَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ تَطِيعَهُ فِيهَا أَمْرًا، وَمَا نَهَاكَ، نَصِيبَكَ مِنَ اللَّهِ كَبِيرٌ، وَهُوَ أَعْلَى نَصِيبٍ نَالَهُ مَخْلُوقٌ عَلَى وَجْهِ الْمَعْمُورَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

أَيَعْقِلُ أَنْ يَكُونَ نَصِيبُكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْتَ كَذَّبْتَ بِكِتَابِهِ وَلَمْ تَتَّبِعْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ؟! فَحَرِمْتَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، نَصِيبُكَ مِنَ اللَّهِ الْجَنَّةُ، مِفْتَاحُ دُخُولِهَا أَنْ تُؤْمِنَ بِهِ، وَأَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَى أَمْرِهِ، وَأَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِخِدْمَةِ خَلْقِهِ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ.

أَيَعْقِلُ أَنْ تَكُونَ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي هِيَ دُونَكَ تَسْبِيحُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

١- غيبي: ما هو متعلق بعالم الغيب، وهو كل ما غاب عن الإنسان.

٢- الخرافة: الاعتقاد أو الفكرة القائمة على مجرد تخيلات دون وجود سبب عقلي أو منطقي مبني على العلم والمعرفة.

٣- المداهنة: السكوت عما يجب عليك النطق به.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤]،
 كلُّ المخلوقات تسبِّح ربَّها بطريقتةٍ أو بأخرى، وأنت الذي سُحِّرتَ (١) له
 كلُّ هذه المخلوقات، أنت وَ حَدَكُ الغافل (٢)؟ أنت وَ حَدَكُ الجاحد (٣)؟ أنت
 وحدك العاصي!؟

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
 مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا نُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ .

في الدنيا تُنكِرُ وتُكذِّب، في الدنيا تُجحد وتُعصي، في الدنيا تستعلي (٤)
 وتتغطرس (٥)، في الدنيا تقول: أنا، ماذا تفعل إذا جاء ملك الموت؟ ماذا
 تفعل؟

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾

نحن مَدِينُونَ (٦) لله عز وجل، أنت مَدِينٌ لله بِبقائِك، لو استيقظتَ
 صباحًا، وِجئتَ إلى المسجد، فأنت مَدِينٌ إلى الله بوجودك، وباستمرارٍ
 أنت مَدِينٌ بِصحتك، وبعمل كلِّ أجهزتك، فأنت مريضٌ بالجسم يجعلُ
 حياةَ الإنسانِ جحيمًا، نَسَبٌ مُحَدَّدَةٌ بالدم، عُذَّةٌ وزنها نصف غرام هي

١- سُحِّرتَ: طُوِّعت ودُللت.

٢- الغافل: الساهي المهمل.

٣- الجاحد: المنكر.

٤- تستعلي: تتكبر.

٥- تتغطرس: تعجب بنفسك.

٦- مدينون: أي: علينا دين.

الغدّة النُّخَامِيَّة، لها اثنا عشر هرمونًا، لو أنّ هرمونًا واحدًا اُخْتَلَّ^(١) لانتَهتْ حياتك!

مَدِينُ أَنْتَ اللهُ تَعَالَى بِعَقْلِكَ، فَلَوْ اُخْتَلَّ هَذَا الْعَقْلُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْعَى لِأَخْذِكَ إِلَى مَشْفَى الْمَجَانِينَ؟ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْكَ!!

﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٨٧

هناك تصانيف^(٢) كثيرة من الناس في الأرض، أنكلوسكسوني، سامي، عرق آري، ملون، أبيض، أسود، دول شمال، دول جنوب، المذاهب، الطوائف، النحل^(٣)، الملل^(٤)، كلُّ هذه التقسيمات باطلة؛ فقد صَنَّفَهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ، هَذَا كَلَامُ خَالِقِ الْكُونِ، وَهَذَا مَصِيرُنَا جَمِيعًا، لَا بَدَّ مِنْ أَنْ نَنْطَوِي تَحْتَ أَحَدِ هَذِهِ الْبِنُودِ:

الأول ممتاز، الثاني جيد أو مقبول، الثالث راسب.

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ ٨٨ ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ ٨٩

فإذا كان من المقربين إلى الله تعالى فإن تصنيفه: ممتاز، وفي الدرجة الأولى، ونصيبه الجنة، بل في أعلى عليين^(٥)، ويصاحب النبيين والصالحين.

١- اختل: تعطل عمله.

٢- تصانيف: جمع تصنيف وهي تقسيم وترتيب الفصيلة والجنس والنوع.

٣- النحل: الدعاوي، وتستعمل في الباطل كثيرًا.

٤- الملل: الأديان والشرائع، أو طرق العبادة.

٥- عليين: أعلى مكان وأعلى درجة في الجنة.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾.

أما هذا الصنف: فهو جيّد، ومصيرُه الجنة، ولكن في مستوى الدرجة الثانية، وهي أقل من المرتبة الأولى.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَتُرْجَمُ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ بِجَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾.

(تُرْجَمُ) مشتقٌّ من مَنَزَلَ، أي: المكان الذي يُبَاتُ فيه، و (حميم): الماء المغلّي جدًّا، و (تَصْلِيَةٌ): إدخال في النار، ومعناها أنه إذا كنت من المكذبين بما أنزل الله فجزاؤك في الآخرة العذاب الأليم في جهنم والعياذ بالله العظيم.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

هذا هو الحقُّ البينُّ الواضح الذي لا مجال للشك فيه، وسبحان الله العظيم.

والحمد لله رب العالمين

تم بحمد الله



الفهرس

٥	إهداء
٧	مقدمة
٢٣	سورة الواقعة: آياتها
٢٣	تسميتها
٢٣	سبب نزولها
٢٤	فضلها
٣٣ / ٢٦	السورة: النص ومعاني الكلمات مع هداية الآيات
٣٥	التفسير الموضوعي لسورة الواقعة
٦٩	من خواطر ومحاضرات لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي
٩٣	الفهرس



ملاحظات

.١

.٢

.٣

.٤

.٥

.٦

.٧

.٨

.٩

.١٠

.١١

.١٢

.١٣

.١٤

.١٥

